

Ire, Année, No. 19

بدل الاشتراك

٣٠ عن سنة كاملة

٢٠ عن ستة شهور

٦٠ عن سنة في الخارج

١ ثمن العدد الواحد

....

تصدر مؤقتاً

في أول كل شهر ونصفه

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Dimanche, 15-10-1933

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

....
الدارة

بشارع الساحة رقم ٣٩

بالقاهرة

تليفون ٤٢٩٩٢

العدد التاسع عشر « القاهرة في يوم الأحد ٢٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٢ - ١٥ أكتوبر سنة ١٩٣٣ » السنة الأولى

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول

أحمد الزيات

الدارة

بشارع الساحة رقم ٣٩

بالقاهرة

تليفون ٤٢٩٩٢

بدل الاشتراك

٣٠ عن سنة كاملة

٢٠ عن ستة شهور

٦٠ عن سنة في الخارج

١ ثمن العدد الواحد

....

تصدر مؤقتاً

في أول كل شهر ونصفه

العدد التاسع عشر « القاهرة في يوم الأحد ٢٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٢ - ١٥ أكتوبر سنة ١٩٣٣ » السنة الأولى

القرية أمس واليوم . . .

كان أكتوبر في الزمن السعيد يقبل على القرية إقبال الربيع،
يفتتح لوز القطن في الحقول، وبشقق ورد الصبي في الحدود،
ويفتتح نوار المنى في القلوب، ثم يمر بيده الذهبية على نصب
الفلاح فيزول، وعلى هام المدين فينفرج، وعلى غمرة المكروب
فتنجلي، ويرسل الخصب مدراراً على المنازل الجديدة فيرتاش
المقل، وينعم البائس، ويتزوج الأعزب !

كنت في أكتوبر، شهر الغنى والزواج، ترى مزارع القطن
رفافة الوجوه، بسامة الصور، تنساب بين خطوطها البيض
أسراب الغيد بجنين الثمرة الغالية، وهن يغنين الأغاني الجميلة،
ويحلمن الأحلام اللذيذة، ويتخيلن هذا القطن الذي يجمعه
الآن بأناملهن، ويضعنه في أحضانهن، وقد أصبح الثوب الزاهي
الذي اشتبهينه، والقرط الذهبي الذي ابتغيه، والزوج الحبيب
الذي طالما تمنينه ! فإذا جئت القرية وجدتها زخارة بالحياة،
موارة بالحركة، تفرح بحماس الشباب، وتموج بأطياف الحب،
وتهزج بأناشيد الأعراس، وتتلقى جزاءها الأوفى على جهادها
الصابر طول العام في فلاحه الأرض وخدمة المالك، واعانة
الحكومة

فالتطرق الآتية إليها من الغيط تسيل بالعذارى الأوانس
يصفقن بالأكف المنضوبة ويحدون بالأصوات الندية،

فهرس العدد

صفحة

- ٣ القرية أمس واليوم : أحمد حسن الزيات
- ٥ حول قصيدة : الدكتور طه حسين
- ٧ الرأي والعقيدة : للأستاذ أحمد أمين
- ٨ حياة الانسان : للأستاذ بول جانيث . ترجمة رسلان عبد الغنى
- ٩ الموسيقى في مصر : للأستاذ محمد كامل حجاج
- ١١ مستقبل الانسانية : للكتاب الاجتماعي ه . ج . ويلز . تحليل شهدي عطيه انشافي
- ١٤ شخصية : ابراهيم ابراهيم جمعه
- ١٦ مطالعات في التصوف : محمد مصطفى حلمي
- ١٩ بلاط الشهداء : للأستاذ محمد عبد الله عنان
- ١٩ المستشرق برجستريس : للدكتور اسرائيل ولفسون
- ٢٣ ابن خلدون وميكافلي : للأستاذ محمد عبد الله عنان
- ٢٥ منظر من رواية الست هدى : للمرحوم شوقي بك
- ٢٦ في الأندلس : له أيضا
- ٢٦ فتنة الحسن : للشاعر الوجداني احمد رامى
- ٢٧ الاصل والمثال : لمحمود عماد
- ٢٧ الورقة : لأنور العطار
- ٢٧ دمر : لأحمد الصافي النجفي
- ٢٨ اكتشاف الكوكب السيار التاسع : للأستاذ عبد الحيد محمود سماحه
- ٣٠ مواطن الحياة الاولى : للسر آرثر طلمس ترجمة بغير الياس ألوس
- ٣٢ زبل : بقلم حسين شوقي
- ٣٣ الحارس : لجى دوموباسان
- ٣٥ بلياس ومابزاند : لموريس ماترلنك - ترجمة الدكتور حسن صادق
- ٣٧ دائرة المعارف الاسلامية : للأستاذ احمد أمين
- ٣٨ معجم الحيوان : للأستاذ زكي نجيب محمود
- ٤٠ دائرة المعارف الاسلامية : للأستاذ اسماعيل مظهر

(والخواجات) يخرجون متعاقبين من بيت الى بيت يسامون على (المحصول) بالأثمان المغرية، والشباب المرخون يسامون الى موهن الليل على الرباب والأرغول في بيوت الأفراح القرية، وأشعة الخريف الفاترة تبعث في قلوب هؤلاء الخليلين طلاقة العيش وجمال الوجود، فلا يشغلون بالهم بالزروع التي تذبل، والأوراق التي تسقط، والطبيعة التي تموت !

ذلك حديث القرية المصرية بالامس، فهل أتاك حديثها اليوم ؟ لم يعد وأسفاه للقطن تلك القوى السحرية التي كانت ترد البؤس نعما وتجعل النار جنة ! ولم تعد الطرق السالكة اليه شادية بالغناء، ولا الأنامل التي تجنبه مخضوبة بالحناء، ولا الدور التي تحويه ألاقه بالذهب ! فقد القطن ولو احقه من سائر الغلات معنى الرخاء فأصبح علاجها غناء خالصا لا روح فيه، وسعيا باطلا لا رجح منه ! ! وكان الفلاح قد أقام بيته وأدار حياته على هذا الحاصل، فكان يأكل حبوب الارض ثم يرصده وحده لقضاء الدين وأداء الضريبة ووفاء القسط وسداد العوز وأكلاف السنة، فلما نجحت قيمته الظروف القاسية تزعزع البيت، واضطربت الحياة، وانتشرت الحال، واستحكمت الازمة، فألحف الدائن في الطلب، وأعنف الصراف في التحصيل، وأسرف البنك في الحجز، حتى انتقص لهم من قوته، واقتطع لهم من ثوبه، ونزل لهم عن جهده، ولم يغن كل ذلك شيئا عن بيع ملكه !

تبدلت القرية غير القرية، فلا ليلي تطمع في زينة، ولا أخوها يطمح الى زواج، ولا أبوهما يفكر في حجب ! وأصبحت الطريق الذاهبة الى المدينة تجيء بالمرابي والصراف والمحضر، بعد أن كانت تجيء بالشاعر والزامر والمغنى، وغاضت بشاشة العيش في وجوه الشباب فعادت القرية جدية كالفقر، كثية كالقبر، لا يعقد فيها اجتماع لأنس، ولا يقام بها احتفال لعرس ! وما أبعد هاتين الكلمتين اليوم عن قوم ندر عندهم الكبريت (الأصفر) حتى اتخذوا الزناد، وغلا عليهم التبغ حتى اشترك ثلاثة في سكاره ! !

لا تزال القرية كما كانت في القرون الخوالي أكوام متلاصقة من الطين غرقى في المناقع والدمن، لا تبصر الشمس، ولا تنشق الهواء، ولا تعرف النظافة، تكومت في قاعها أرواث البهائم وزرق الدجاج، وتراكم على سطحها حطب الوقود وعلف الماشية، وتقاسم الانسان والحيوان المضاجع في هذه الخطائر المشتركة ! ثم راض الفلاح نفسه مرغماً على الطعام البوخيم والشراب الكدير والملبس الرث والقناعة المزرية، حتى مات في حسه ادراك الجمال، وتفه في ذوقه طعم الوجود ! ذلك والعواصم المصرية تعيش في القرن العشرين تأخذ بمدنيته، وتقبس من نوره، وتنعم برفاهه، كأن الصلة بين القرية والمدينة هي الصلة التي كانت بين العبد والسيد، يملك ولكن ملكه لمولاه، وينتج ولكن انتاجه لسواه ! !

تغلغلت المدنية في الأمم الأوربية حتى انتظمت قمم الجبال وبطون الأودية وأطراف السهوب، وسوت بين بنينا في متع العيش وحقوق الانسان، ثم تشوفت الى الآفاق الغائمة في الشرق تريد أن تهديها طريق الحضارة، ونحن لا نزال قاصرين عن انقاذ قرانا من الجهل والمرض والقاقة، وهي مصادر القوة وموارد الانتاج تعول الموظفين بالضرائب، وتغذى الجيش بالجنود، وتمد الحواضر بالأرزاق، وتعين الاحزاب بالمال، وتقيم (الحفلات) بالتبرع

ان الفلاح المسكين الساذج يسمع بالوزارات تسقط وتقوم، وبالأحزاب تختصم وتحتكم، وبالمجالس تنتشر وتنظم، وبالداواين تُفتح وتغلق، وبالأموال تُجّر وتنفق، فيسائل نفسه سؤال الجاهل الذاهل. الى من هذه الأعمال والأموال اذا لم يكن لي من ثمارها نصيب ؟ ؟

لقد اشترينا بأقوات الريف أبهة العاصمة، وبنينا بانقراض القرية قصور المدينة، وغسلنا بعرق الفلاح أقدام المترفين، فكنا كمن حفر الجداول، وخطط الحقول، ونثر البذور، وشيد الأهرام، ثم طمر في سبيل ذلك فوهة البنبوع ! !

معرض الزنا

حول قصيدة

للدكتور طه حسين

في مساء يوم من أيام سنة ١٩٢٠ دخل الأديب الفرنسي جاك ريفير على صديقه الشاعر العظيم بول فاليري ، فرأى أمامه صورة مختلفة لقصيدة أنشأها ، أو قل لقصيدة كان ينشئها . فاخلس صورة من هذه الصور ، ثم خرج فنشر هذه الصورة في مجلة من المجلات الفرنسية الكبرى .

وهذه القصيدة هي « المقبرة البحرية » ويجب أن تعلم أن بول فاليري لا يتم أثرا من آثاره الفنية وإنما يتركه . وهو يفسر لنا هذا حين يتحدث إلينا في بعض ما كتب من الفصول ، بأن الشعراء وأصحاب الفن في العصور القديمة ، لم يكونوا يتمون أثرا من آثارهم ، وإنما كانوا يعملون فيه ينقحونه ، ويهذبونه ، ينقصون منه ، ويضيفون إليه ، ويلأثمون بين أجزائه ، يندفون الكمال ما وجدوا إلى ابتغائه سبيلا . حتى إذا أكرهوا على تركه أسلموه إلى النار أو أسلموه إلى الجمهور . فالنار والجمهور عند بول فاليري وعند أصحاب الفن الأقدمين سواء . كلاهما يمتدح الأثر الفني بالقياس إلى مبدعه لأنه يختص نفسه بهذا الأثر فيحرقه تحريقا ويقطع الصلة بينه وبين صاحبه ، ويجعله ملكا لنفسه ، يمثله كإشياء أو كما يستطيع ويدوقه ، ويفهمه كما يريد ، أو كما تمكنه ملكاته الخاصة من الفهم والذوق . وبول فاليري حريص على هذه السنة الفنية القديمة ، فهو لا يتم كما قلت قصيدة من الشعر ، ولا فصلا من النثر ، وإنما يعطى فيه مصلحا مذهبيا ، ساعيا إلى هذه الغاية القريبة التي لا تدرك وهي الكمال . حتى تضطره الظروف إلى أن يدع قصيدته أو فصله أو كتابه لصديق مختلس كجك ريفير أو لناشر ملح ، أو لأي ظرف من الظروف التي تذيب آثار الشعراء والكتاب ، وتخرجها من أيديهم إلى أيدي القراء .

وكذلك فرضت هذه القصيدة في صورتها المعروفة على صاحبها فرضا ، ولعله لو خير لاختار صورة أخرى من هذه الصور التي كانت بين يديه ، لكنه نظر ذات يوم ، فإذا المجلة الفرنسية الجديدة تنشره قصيدة « المقبرة البحرية » فلم يكن له بد من التسليم والاذعان . على أن من العسير جدا أن تظهر في التاريخ الأدبي الفرنسي ، بقصيدة كثر حولها الحوار واشتد فيها الجدل ، وتشعبت فيها الخصومة ، كهذه القصيدة التي لا تزيد على أربعة وأربعين ومائة

بيت . فقد انفق النقاد الفرنسيون أعواما يدرسونها ، ويحلونها ، ويلتمسون معانيها ، وأغراضها ، ومظاهر الحسن ودخائلها فيها . ثم لا يتفقون على ذلك بل لا يتفقون على شيء من ذلك ، بل يبلغ بهم الاختلاف أقصاه . فإذا بعضهم يرفع القصيدة إلى أرق منازل الآيات الشعرية الخالدة وإذا بعضهم ينزل بها إلى حضيض السخف الذي لا ينبغي الوقوف عنده ولا الالتفات إليه . وإذا الأمر يتجاوز المجلات والصحف الأدبية إلى الصحف اليومية الكبرى ، ثم يشتد الخلاف وتنظم الخصومة حتى يضطر ناقد من كبار النقاد إلى أن يبدأ بحقائق وتحقيقات بعيدة الأمد ، فيختار قطعتين من هذه القصيدة ، ويعرضهما على الأدباء والنقاد المعروفين يسألهم عما يفهمونه منهما ، وما يرونه فيهما من الرأي ، ويدعوه ذلك إلى أن يسألهم عن أصل من أصول الفن الشعري ، ظهر أنهم لم يكونوا يتفقون عليه بحال من الأحوال ، وهو الواضح أنه ضرورة من ضرورات الشعر الجيد ، أم هو شيء يمكن أن يستغنى عنه هذا الشعر ؟ وإذا شئت الدقة والجلاء فقل أحب أن يكون الشعر الجيد واضحا جليا يفهمه من قريب من سمعه أو قرأه ، أم يستطيع الشعر أن يكون جيدا وإن حال الغموض بينه وبين فهم القارئ والسامعين .

ولا يكاد يبدأ هذا التحقيق حتى يعود الخلاف حول القصيدة وصاحبها كما كان حادا عنيفا متشعبا . وكان بول فاليري في أثناء ذلك قد انتخب عضوا في المجمع اللغوي الفرنسي . فيشير انتخابه حقا لحاقدين وحقن المحققين ، ويزيد الخلاف حدة وعنفا . وتستطيع أن تقول غير مبالغ ولا مسرف أن المثقفين الفرنسيين جميعا قد شغلوا بهذه القصيدة وصاحبها أعوام ١٩٢٧ و ٢٨ و ٢٩ .

وانتهى أمر هذه القصيدة إلى السوربون ، وما أقل ما تعنى السوربون بشعر المعاصرين ، وإذا استاذ من أساتذة الأدب فيها هو مسيو جوستاف كوهين يتخذها موضوعا لدرسه في تفسير النصوص الأدبية ، وإذا هو يتخذها موضوعا لكتاب سماه محاولة لتفسير المقبرة البحرية . كل هذه الحركة العنيفة والشاعر صامت لا يقول شيئا ، ساكن لا يأتى شيئا ، أو هو لا يقول ولا يأتى شيئا . يس هذا الخلاف العنيف حتى اضطر صاحب التحقيق الذي أشرت إليه آنفا أن يكتب إليه ينبئه بأن كثرة الذين أجابوا على مالقى إليهم من الأسئلة يعترفون بأن لقصيدته معنى ولكنهم لا يتفقون على هذا المعنى ، وإنما يختلفون اختلافا شديدا في تحصيله ، ويسأله أن يبين ما أراد ليقطع الشك ويزيل الخلاف ، فلا يجيب الشاعر ويضطر كاتب آخر إلى أن يطالبه في صحيفة من الصحف الكبرى

بأن يبين للناس ما أراد أن يقول في هذه القصيدة ، ليظهر من أخطأ من النقاد ومن أصاب ، ويصفه بالكبرياء ، وبالحرص على أن يغيظ النقاد ، ولكنه على ذلك كله لا يجيب حتى إذا ظهر كتاب استاذ السوربون ، نظر الناس ، فإذا الشاعر قد قدم بين يدي هذا الكتاب بمقدمة بديعة ممتعة ، يصفها بعضهم بأنها مثيرة للدوار ، لكثرة ما تشتمل عليه من المعاني والآراء في وضوح لا يكشف الحجاب عنها كل الكشف ، وفي غموض لا يريح القراء من التأمل وإطالة البحث والتفكير . فإذا قرأت المقدمة البديعة الممتعة المثيرة للدوار ، لم يتبين فيها القارئ جواباً لهذه الاسئلة الملحة التي ألقاها النقاد على الشاعر يتمنون عليه فيها أن يبين لهم ما أراد ، وإنما يجد القارئ في هذه المقدمة آراء مؤسسه من الوصول الى تحصيل المعاني التي اراد اليها الشاعر حين نظم قصيدته . فهو يقول مثلاً : ان الناس يسألونني ماذا اردت ان تقول ؟ فانا لم ارد أن أقول شيئاً وإنما اردت أن اعمل شيئاً ، ورغبت في هذا العمل هي التي قالت ما يقرأون ، وهو يقول مثلاً ان الاثر الفني الذي يصدره الشاعر أو الكاتب أو غيرهما من أصحاب الفن لا يكاد يخرج من يد منشئه حتى يصبح اداة من الادوات العامة يصرفها الناس كما يريدون أو كما يستطيعون . ومعنى ذلك أن القصيدة اذا أذيعت بين الناس ، فلكل واحد منهم أن يفهم منها ما أراد أو ما استطاع . فاما ما أراد الشاعر فامر مقصور عليه حين نظم ، ولعله قد نسيه أو انصرف عنه الى غيره من المعاني فلا ينبغي أن يسأل عنه ولا أن يطالب بتبيينه للناس . وأظرف وأظرف أن الشاعر يثني على الكتاب الذي يفسر قصيدته فيقول : أنه قرب هذه القصيدة الى الشبان من تلاميذه ، وأحاط بخصائصها التي تتصل بما فيها من الموسيقى والانسجام . ولكنه يقول : أوفق الأستاذ الشارح الى تحقيق المعاني التي قصد اليها الشاعر أم أخطأه هذا النوفيق

كل هذه الآراء وآراء أخرى للشاعر العظيم في هذه المقدمة الممتعة إن لم تبين المعاني التي أودعها قصيدته فهي تبين شيئاً آخر أظنه أقوم وأجل خطراً من هذه المعاني ، وهو مذهب الشاعر في فن الشعر ، وما ينبغي له من الارتفاع عن هذا الوضوح الذي يفسد الفن افساداً ، ويقربه من الابتدال ، فهو يرى مثلاً أن جمال الشعر يأتي من انك تحدد اللذة الفنية في نفسك ، كلما حددت قراءته ومن انك تستكشف في القراءة الثانية من فنون الجمال ما لم تستكشفه في القراءة الاولى ، بل تجدف في كل قراءة فنونا جديدة من الجمال لم تجدوها في القراءات التي سبقتها ، وأنت لا تجد هذه اللذة المتصلة المتنوعة إلا لأنك خليق

أن تستكشف في كل قراءة معنى جديداً يثير في نفسك شعوراً جديداً بالجمال ، وهو يرى مثلاً أن للشعر صفات تعصمه من الموت أو تعصمه من الموت القريب ، وهذه الصفات تتصل بوزنه وقوافيه و هذه الصور الخاصة التي لا تجدوها في النثر . وموت الاثر الفني عنده يأتي من فهم الناس له ، فانت اذا قرأت كتاباً وفهمته فقد قتلتها وقضيت عليه . فهناك اذن جهاد عنيف بين القارئ والمقروء ، فإذا فهم القارئ فقد غلب . وإنما الاثر الفني الخليق بهذا الاسم هو الذي يغلب قارئه ويعجزه ، ولكن دون أن يضطره الى اليأس والقنوط . ومن هنا يرى شاعرنا العظيم أن النثر بطبيعة تكوينه أقرب الى الموت وأدنى الى الفناء ، لأنه أقرب الى الفهم ، وأدنى الى الهضم ، لا تعصمه هذه الدروع المتقنة التي تسميها الوزن والقافية ، والموسيقى والصور

فإذا أضفت الى هذه المقدمة ما كتبه شاعرنا العظيم في مواضع مختلفة ، وظروف مختلفة حول الشعر والنثر والادب عامة استطعت أن تلخص مذهبه في الشعر الخالص أو في الشعر العالي كما يقولون . فالشعر عنده كلام ، ولكنه كلام ممتاز ، وامتيازه لا يجب أن يأتيه من معناه وحده بل ، يجب أن يأتيه من صيغته قبل كل شيء ، فحقيقة الشعر انما تلتبس في صيغته وشكله ، تلتبس في وزنه الذي يجب أن يثير السمع ويؤثر فيه ، تلتبس في انسجامه الذي يجب أن يثير في النفس لذة الموسيقى ، أولذة أرقى من لذة الموسيقى لأنها تمس العقل والشعور والسمع جميعاً ، ثم تلتبس في صورته التي تروغ الخيال وتروغ معه الحسن أيضاً ثم تلتبس قبل كل شيء وبعد كل شيء في هذه الصفة التي لا أدري كيف اسمها أو أحدها ، والتي تضطر الى البحث والتفكير والى جهاد ما تقرأ في غير ملل ولا يأس

وطبيعي بعد أن ثار هذا الخلاف العنيف الطويل حول هذه القصيدة أن تتجاوز حدود فرنسا ، ويعني بها النقاد الاجانب كما عني بها الفرنسيون ، كما يعنون بكل ما يصدر هذا الشاعر من الاثار . فقد ترجمت هذه القصيدة أربع مرات في اللغة الاسبانية ، وثلاثاً في اللغة الانجليزية ، وثلاثاً في اللغة الالمانية ولكن الغريب انها ترجمت في اللغة الفرنسية نفسها شعراً . ترجمها الكولونيل جودشو ، وأرسلها الى الشاعر ، فكتب اليه الشاعر يقول : اشكر لك خالص الشكر ما أرسلت الى من ترجمة المقبرة البحرية الى لغة أقرب الى الوضوح . وسأضيف هذه الترجمة الى التراجم الاسبانية الاربع ، والى التراجم الانجليزية الثلاث ، والى التراجم الالمانية الثلاث ، والى تراجم أخرى لهذه القصيدة قد وقعت الى . وقد أعجبتني جدا

الرأى والعقيدة

للأستاذ أحمد أمين

فرق كبير بين أن ترى الرأى وأن تعتقده — اذا رأيت الرأى فقد أدخلته فى دائرة معلوماتك، واذا اعتقدته جرى فى دمك، وسرى فى مخ عظامك، وتغلغل الى أعماق قلبك

ذو الرأى فيلسوف، يقول انى أرى الرأى صوابا وقد يكون فى الواقع باطلا، وهذا ما قامت الأدلة عليه اليوم، وقد تقوم الأدلة على عكسه غدا، وقد أكون مخطئا فيه، وقد أكون مصيبا، أما ذو العقيدة فجازم بات لا شك عنده ولا ظن، عقيدته هى الحق لا محالة، هى الحق اليوم وهى الحق غدا، خرجت عن أن تكون مجالا للدليل، وسمت عن معترك الشكوك والظنون ذو الرأى فاتر أو بارد، ان تحقق ما رأى ابتسم ابتسامة هادئة رزينة، وان لم يتحقق ما رأى فلا بأس، فقد احترز من قبل بأن رأيه صواب يحتمل الخطأ، ورأى غيره خطأ يحتمل الصواب، وذو العقيدة حار متحمس لا يهدأ الا اذا حقق عقيدته. هو حرج الصدر، لهيف القلب، تتناجى فى صدره الهموم، أرق جفنه وأطال ليله تفكيره فى عقيدة، كيف يعمل لها، ويدعو اليها، وهو طالق الحيا مشرق الجبين، اذا أدرك غايته، أو قارب بغيته

ذو الرأى سهل أن يتحول ويتحور، هو عبد الدليل، أو عبد المصلحة تظهر فى شكل دليل، أما ذو العقيدة فخير مظهر له ما قاله رسول الله: «لو وضعوا الشمس فى يميني والقمر فى شمالي على أن أدع هذا الذى جئت به ما تركته»، وكما يتجلى فى دعاء عمر: «اللهم ايماننا كايما العجائز»

لقد روى عن «سقراط» أنه قال «إن الفضيلة هى المعرفة» وناقشوه فى رأيه، وأبانوا خطأه، واستدلوا بأن العلم قد يكون فى ناحية، والعمل فى ناحية، وكثيرا ما رأينا أعرف الناس بمضار الخمر شاربها، وبمضار القمار لاعبه، ولكن لو قال سقراط إن الفضيلة هى العقيدة، لم أعرف وجهها للرد عليه، فالعقيدة تستتبع العمل على وفقها لا محالة — قد ترى أن الكرم فضيلة ثم تبخل، والشجاعة خيرا ثم تجبن، ولكن محال أن تؤمن بالشجاعة والكرم ثم تبجن أو تبخل

العقيدة حق مشاع بين الناس على السواء، تجدها فى السذج، وفى الاوساط، وفى الفلاسفة — أما الرأى فليس الا للخاصة الذين يعرفون الدليل وأنواعه، والقياس واشكاله، والناس يسرون فى الحياة بعقيدتهم، أكثر مما يسرون بأرائهم، والمؤمن بعقيدته يرى ما لا يرى الباحث برأيه، قد منح المؤمن من الحواس الباطنة، الذوق ما قصر عن ادراكه القياس والدليل الناس انما يخضعون لذى العقيدة، وليس ذوو الرأى الا لثلاثين لا يعملون، عنوا بظواهر الحجج أكثر مما عنوا بالواقع، لا يزالون يتجادلون فى آرائهم حتى يأتى ذو العقيدة فيكتسحهم قد يجود الرأى وقد ينفع، وقد ينير الظلام وقد يظهر الصواب، ولكن لا قيمة لذلك كله ما لم تدعمه العقيدة، وقل أن تؤتى أمة من نقص فى الرأى، ولكن أكثر ما تؤتى من ضعف فى العقيدة، بل قد تؤتى من قبل كثرة الآراء أكثر مما تؤتى من قلتها

الرأى جثة هامدة، لا حياة لها ما لم تنفخ فيها العقيدة من روحها، والرأى كهف مظلم لا ينير حتى تلقى عليه العقيدة من أشعتها، والرأى مستنقع راكد يبيض فوقه البعوض، والعقيدة بحر زاخر لا يسمح للهوام الوضيعة أن تتولد على ظهره، والرأى سديم يتسكون؛ والعقيدة نجم يتألق، ذو الرأى يخضع للظالم وللقوى، لأنه يرى أن للظالم والقوى رأيا كرايه، ولكن ذا العقيدة يأبى الضيم ويمقت الظلم، لأنه يؤمن أن ما يعتقده من عدل وإباء هو الحق ولا حق غيره من العقيدة ينبثق نور باطنى يضئ جوانب النفس، ويبعث فيها القوة والحياة، يستعذب صاحبها العذاب، ويستصغر العظائم، ويستخف بالأهوال، وما المصلحون الصادقون فى كل أمة الا أصحاب العقائد فيها

الرأى يخلق المصاعب، ويضع العقبات، ويصغى لأمانى الجسد، ويشير للشبهات ويبعث على التردد، والعقيدة تفتحهم للاخطار، وتزأل الجبال، وتلفت وجه الدهر، وتغير سير التاريخ، وتنسف الشك والتردد، وتبعث الحزم واليقين، ولا تسمح الا لمراد الروح

ليس ينقص الشرق لنهوضه رأى، ولكن تنقصه العقيدة، فلو منح الشرق عطاء يعتقدون ما يقولون لتغير وجهه وحال حاله، واصبح شيئا آخر — وبعد، فهل حُرِّم الأيمان مهبط الايمان؟

حياة الانسان

للاستاذ بول جانيت

الاستاذ بالسربون

حياة الانسان منقسمة الى أربعة أطوار : الطفولة والشباب ، والرجولة والشيخوخة ، ولطالما اشتد الجدل وما يزال يشتد بين البشر لمعرفة أى هذه الأطوار يكون الانسان فيه أسعد حالا وأهدأ بالاً وأشد تفاؤلاً ؟ ويلوح لنا أن الناس يجمعون أو يكادون يجمعون على تفضيل الرجولة على الشيخوخة ، والشباب على الرجولة ، والطفولة على الجميع ، والحق الذى لا مراء فيه أن لكل طور من اطوار الحياة لوانا من السعادة يناسبه وبلائمه ، ولكل طور نظر الى الحياة مغاير . . . وهب أن ليس هناك ماهو أهدأ من الطفولة المرحية فمن منا يود أن يظل طيلة حياته طفلاً ؟ فمن الذين نغبط الأطفال ههناهم ونذكر فى أسى تلك السعادة البريئة الماضية التى تفتياناً ظللناها واحتسينا راحها ونعمنا بزنبقها وآسها أيام كنا أطفالاً نرتع ونلعب ، لنرتمق فى حزن عميق أولئك التمساء الذين تطول بهم الطفولة الى غير نهاية ، وإن سرورهم نفسه ليحرك فينا عاطفة الرحمة والاشفاق . نحن نرثى لهم لأنهم لما يلبسوا ما هم فيه من يؤس وشقاء ، فهذه السذاجة التى يطول عمرها ، وهذه الغرارة ، وهذه الغباوة ، وهذا الاستخفاف بالآلام الغير ليدونا أعظم الآلام . فليست السعادة منحصرة فى قيام لذة أو فى انعدام ألم ، ولكنها فى استغلال القوى التى خص بها الانسان استغلالاً مشرفاً معقولاً . . .

يجمل الطفل الحياة جميعها ولا تكاد تنصب رغائبه الا على النافه من الأغراض ، ومع أننا نعجب بهذا الطور وما حواه من سذاجة ومرح وتدل فنحن لانأسف عليه أسفاً حقيقياً ، ولا نرضى عن طواعية واختيار أن نستعيده ثانية ، ويحب الشباب من الحياة ما يحبه الرجل ، ولكنه لا يتبع سبيله ، ولا يسلك منهاجه ، ومعرفة وآراؤه قريبان من معرفة الرجل وآرائه ، وليس الفرق بينهما عظيماً كما نراه بين الطفولة والشباب . وميزة الشباب على الرجل أن رغبته ماتزال فى نضارتها وقشورها ، فالمستقبل مفتر له باسسط ذراعيه ، والأمل لا يد مالى جوانب قلبه ، وناشر على أحزانه النادرة طبقة من السرور على أهبة أن تسفر وتتلأ ، وإذ لا عهد له بعقبات الحياة وتكليفها ، فهو أبداً سخي وشجاع ، ولما لم يكن قد خدع إلا نادراً كان ناصح الدخيلة ، سليم الطوية ، يصدق الرواة ويثق بالظروف ،

ولما كان عمله فى المعهد أو المصنع لا يتجاوز بضعة ساع من النهار كان لديه وقت من الحرية والفراغ طال أو قصر يتسنى له خلاله أن يتذوق لذة الاستقلال قبل أن ينوء به عبء التبعة . . . غير أن زمن اللذة قد ولى وأدبر وبدأت حياة الجد والكفاح ، وحتى فى هذا الوقت لم تكن آراء الشباب إلا قضايا عقل وخلقيات نفس ينبغى أن تستحيل الى عقائد وقیود ! كان ميله هوى ، وصداقه رسالة ، وحببه تلبية من تلاهى الخيال قبل أن يكون حاجة من حاج القلب وضرورة من ضروراته ، وكانت علاقاته بالعالم لذة لحظة أو ملال لحظة ، ثم استحال الى سلاسل وأغلال لا يستطيع المرء أن يتحرر منها دون خطر . ثم تتجمع حول الرجل الكامل المنافع والغايات والحاجات والمنافسات . وتخييط به وتنسبط أمامه فلاة بلقع ليس فيها سوى أهراس وعواسج ومهاو ، وقد كان الشاب لا يرى فيها إلا سهولاً منبسطة تغطيها رياض بها أطيب الزهر وأشهى الثمر ! كل هذا حق ، وهل يمكن أن يقال أكثر من هذا فى مدح الشباب وذم الرجولة ؟ ولكن لم خلق الانسان ؟ خلق ليكون رجلاً يكافح ويناضل ، أما السلام فليس من أطوار هذه الحياة ، إن نشدته وجدته أبعد من الفرقدين واعسر من رد أمس الدابر . إن هذه الحياة جهاد ونضال ، وحرى بالرجل أن يكون كالربان فى بحر تحفه الأهوال ، وليس أدعى الى السخرية من شاب فى سن الرجولة أو فى سن الشيخوخة مثل ذلك الشاب الأبدى يدعو الى حزنا وراثتاً ، وليس الذى نرثى له من أجله هو ذلك التناقض المادى والمعنوى ، أو الجسدى والروحى فى الشخص الواحد ، ولكن ذلك النقص المعيب والخمول المزرى ، وتلك القوة المعتلة ثم ذلك الوقار الضائع والأهلية المفقودة . . كل هذا ليس إلا ضعفاً هريماً قبل الأوان ، فالطبيعة تنأرنفسها بشيخوخة مبكرة طافرة مع من لم يعرف كيف يتلقاها ويرحب بها ويتأهب لها وهى تدنومنه فى رفق وترثت وانتاد . . .

يئذ الشاب الرجل يهجه ونضارته وجماله ، أى يبذه بشيء ليس إلا عرضاً زائلاً ، وغثاً بالياً ، وزينة أخرى أن تفاخر بها المرأة . ويبذه الرجل بقوته واحتماله ، وعلمه وحزمه ووقاره . يريد الرجل فيعمل ، وينتوى فينفذ ، ويعد فيصدق ، ويكافح فلا يشئ له عنان ولا تلين له قناة . ويقف الشاب من مسرح الحياة موقف المتنفرج بينما يلعب الرجل فوقه دوراً تافهاً أو عظيماً . ولربما تطلب أتهه الأدوار جهداً فوق الذى يتطلبه أعظمها ، ففعل أسرة أشق غالباً من تأسيس مملكة . .

الموسيقى فى مصر

للأستاذ محمد كامل حجاج

لاريب أن الموسيقى من أعظم الفنون الجميلة التى أصبحت من الضروريات عند كل الطبقات ، وقد بلغت أوجها عند الأمم الراقية ، وتمشت مع الثمدن حتى أصبحت معيار المدنية والرقى الموسيقى الراقية كالشعر بل هى متممة له ، لأن كثيرا من الحالات النفسية العميقة لا يستطيع الكلام أن يعبر عنها ، وإنى أضرب لك مثلا سهلا :

إذا قرأت أمام أمى جاهل مرثية من أروع الشعر الجاهلى فهل يظهر عليه أى تأثر ؟

أعد الكرة أمام الرجل نفسه وأسمعه مرثية موسيقية راقية فلا ريب أنها تهزه وتحزنه حتى تقرأ علامات الحزن على وجهه وربما لا يقوى على ضبط نفسه فيثأوه أو يخونه الدمع إن كان رقيق الشعور .

إن لم تكن الموسيقى واصفة ومصورة لكل ما تقع عليه العين من محاسن الطبيعة ، ومعبرة كالشعر عن اسمى العواطف وأرق الشعور والوجدان ، فأولى بها أن تسمى لفظا وجلبة تصدع الروس وتسم النفوس .

لقد اهتمت مصر بالعلوم والآداب والفنون وأحرزت نصيبا يقارب الضروريات ، ولكنها متفجرة فى الموسيقى . ولم نروا أحدا من أبناء الأغنياء أولع بهذا الفن وحاول أن يدرسه دراسة تامة تؤهله لخدمة الموسيقى والنهوض بها الى أوج الكمال . ولا يتأتى بلوغ هذه الغاية إلا بدراسة الموسيقى الأفريقية ، ثم العربية مع نصيب

وما اضطلعت به من أعباء ثقالة ، وما بذلت من جهود ونضال ، وما بذلت من عقبات ، وما جابت من فياف وقفار ، وما قضت من ليلانات وأوطار ، وما نالت من مجد وفخر ، وما نعمت به من زوج وولد وصحاب ، وما احتملت من وقعات الهجير ولفحات الزمهير فى طلب رزق أو استجداء سر ، أو ذباداً عن وطن . وتختتمها الشيخوخة وقد توسدت الراحة وأخلدت الى الدعة واعتصمت بالحلم والآناة وارسمت على وجهها آيات الرضا ، وانبعثت من مقتلها أشعة الهدى . فراحت تنفياً ظلال الذكرى ، وكأنها فى سنى الطفولة والشباب والرجولة تحيا !!

رسلان عبد الغنى البنى

ترجمة

يجهل الطفل شئون الحياة ، ولا يكاد يعرف منها كثيرا ولا قليلا ، ويعرفها الشباب أو يعرف منها الكثير فتستويه وتستهمله ، غير أنه لا يساهم فيها ، ولكن الرجل يمتزج بها ويحاول أن يغيرها تحسكه التجارب وتوقره الحوادث ، ويروضه الزمان ويشقه الجديدان ، وتشحذ قوته العقبات . وتعلو مكاتته التبعات ، وتوقظ مشاعره الآلام النبيلة ، والعبرات الصادقة . . . هذا عصر الاتاج المثمر ، والكفاح المجدى ، والعزائم التى تولد من عناصر الضعف قوة ، ومن ظلام اليأس نور أمل . هذا عصر القيادة والزعامة والابتكار ، هذا عصر المجد والنور بل هذا عصر الانسانية الحقيقى !!

فى الطفولة عدو وبؤس وسحر ، وفى الشباب نظرة وجمال ، ولكن كليهما ليس فيه غناء ، لا لصاحبه ولا لوطنه ولا للانسانية جمعاء ، فالأطفال والشباب يعيشون فى هذه الحياة كلا على الرجل ، فالرجولة وحدها هى التى يؤمل لها أن تبلغ الغاية القصوى ، والمثل الأعلى ، وهى التى يحق لها أن تطمح الى الخلود إن كان لشيء فى هذه الحياة خلود !!

أما الشيخوخة فتى كانت مدعمة بالرزانة والحزم ، وبمجردة من الهوى والأثم ، وكان معها توبة من الذنوب وإقلاع عن المعاصى أضحت للذابل طلا وندى ، وللفائت ترجيعاً وصدى ، وما أشبهها بأصيل يوم ربيعى رقى وصفا !

لينس الشيخ المعمر لحظة ماوسع من أحزان وآلام ، وما ابتلى به من أوصاب وأسقام ، وما نزل به من خصاصة ، وما حضره من إملاق ، وما لقي من عنث وإرهاق ، وما صادفه من تعثر وإخفاق ، ولينس مع هذا وقبل هذا أن قاتنه قد أعوجت ، وأن عظمه قد وهن ، وأن الدهر عاضه من نصارة عوده ذبولا ، ومن سواد عذاره قتيلاً ، وإن استطاع فلينس أيضاً أنه متى حان حينه طوى بساط عيشه ، ووافاه حمامة فكحله بمروده . ولفه فى مزره ، وإنترعه من بين إبنه له وابن ، ووالدة وخذن ، وصاحبة ونأى وذن ، ليواريه فى حفرة قد ضاقت مساحتها وأحلولكت جوانبها . . . فان فعل ، وحرى به أن يفعل ، ثم قصيدة فيها سحر وجمال ومتاع سوف يخلقها له خياله . . قصيدة تبدأ بالأعياب الطفولة المرححة الطروب يتصوع منها شذا الوداعة والعذوبة والايانس ، ويفج منها نور السداجة والبراءة والعفاف ، ويغرد من فوقها البلبل والورقاء والحسون !! وتتصلبها آمال الشباب وأمانيه وأنا شيداه وأغانيه وتأملاته (١) ونجواه ولياليه (٢) وليلاه . . . ثم تعقبها الرجولة بما أخذت من تبعه وإحتمال ،

(١) يشير الكاتب الى تأملات لامرتين

(٢) الليالى هنا للشاعر الفرنسى دى موسيه

كاف من الثقافة العامة ولا سيما الآداب وتاريخ الفنون الجميلة ، لأنهما يثقفان الذوق ويشحذان الخيال ويرهفان العواطف

إننا بدارسة الموسيقى الأفريقية بفروعها من سولفيج وأرموني وكوتريوان وتوزيع الموسيقى على الآلات نتمكن من إتقان الأملاء الموسيقي بأن نكتب موسيقى الدور أو القطعة بمجرد سماعها ، ونزق في التلحين إذا نبغنا في الأرموني واستطعنا أن نسترشد بها لوضع أرموني تتناسب مع موسيقانا العربية . أما الكوتريوان فأنها تتمشى مع موسيقانا ولا تتنافر معها ولا تحدث فيها أية شائبة

إن موسيقانا لا تتعدى على الجملة : الضروب والمقامات ، وهى لا تؤهل الإنسان للتلحين ما لم يكن الموسيقار قد وهب استعداداً طبيعياً وموهبة فنية وذوقاً سليماً كالشيخ سلامة حجازى وعبد الحولى ومحمد عثمان وبهم استرشد ومنهم اقتبس جميع ملحنينا العصريين المشتغلون بالموسيقى في مصر هم المحترفون والهواة وصية رياض الاطفال وصيات السنتين الاولى والثانية من مدارس البنات الابتدائية والجيش والبوليس والملاجىء وسنتكلم عن كل طائفة منهم

إن المحترفين من عازفين ومغنين ومنشدين وملحنين يقنعون بالوصول إلى درجة متوسطة أو دونها ، وليس عند أغلبهم ميل إلى الفن ، والغاية التي يشدونها هى كسب العيش بدرجة يخطون عليها من القناعة

والهواة من الشبان يكتفون بحفظ بعض البشائر والسماعات وجانب من المارشات والأدوار دون أن يهتموا بقواعد الفن وأصوله . وأما الفتيات فأغلبهن يتعلمن منهاج المرحومة ماتيلدة على البيانو ، ويقفن به الجيران إلى ما بعد منتصف الليل ، ولا يعزفن نوتة واحدة ويستثنى منهم أفراد قلائل من الشبان والفتيات بلغن غاية عظيمة ويقولون دائماً هل من مزيد ؟ ولكن لا يتجاوز عددهم أصابع اليد اغتبطنا حين رأينا مدة انعقاد المؤتمر الموسيقي أطفال رياض الاطفال ومدارس البنات الابتدائية يمثلون قطعاً استعراضية تمثيلية غنائية في غاية من الرواء والاتقان ، ويمثلون أدوارهم برشاقة واسترسال ويغنون ألحانها غناء صحيحاً شجياً ، وقد أعجب بهم أعضاء المؤتمر إيماناً إعجاب . ويسرنا أن نرى وزارة المعارف مهتمة بتنفيذ قرارات المؤتمر الذي أوصى بنشر التعليم الموسيقي في المدارس الابتدائية والتجهيزية ، إذ قررت الوزارة في هذا العام تعليم بنات السنة الثانية من المدارس الابتدائية

أما موسيقى الجيش والبوليس والملاجىء فقد ترقّت كثيراً في السنوات العشر الأخيرة ، ولا سيما موسيقى البوليس فأنها تعزف كثيراً من القطع الأفريقية ومتخبات الاوبرات المشهورة فضلاً

عن القطع العربية الراقية ، كما أنهم أهتموا بتوحيد طراز آلاتهم حتى يكون فيها انسجام . وهم يعزفون عليها بلباقة وحسن تعبير ورقة لم تكن موجودة فيما مضى وإني أورد مثالين يظهران شدة الاهتمام بالموسيقى والتضحية العظيمة في سبيلها

كلنا نعرف هكتور مريوز أعظم موسيقي أنجبته فرنسا ، وكان في أول أمره طالباً في مدرسة الطب ، وكان أبوه طبيباً فلم يجد الولد في نفسه ميلاً إلى الطب ورجا والده أن يدخله في معهد الموسيقى فرفض وهدده بقطع مرتبه ، ولم يستطع الابن أن يستمر في الطب فدخل الكونسرفتوار ، فما كان من والده إلا أن قطع مرتبه ، فاضطر أن يعطى دروساً موسيقية بفرنك واحد للدرس ، واستمر في دراسته وهو يغالب الزمن للحصول على قوته حتى نبغ ، وهو الذي ابتدع الرومانيزم في الموسيقى في فرنسا

والمثال الثاني يبين لنا اهتمام المهج بالموسيقى بدرجة لا تجددها في المصريين

كنت في صغرى أقضى عطلة المدارس في قريتنا بين أهلى ، وكان منزلنا في ربوة عالية تشرف على جميع القرية ، وكان في الحى الذى يلينا بيت تسكنه فتة من العبيد يحبون الليل جميعه في الغناء والعزف والرقص الى أن تطلع الشمس ، ثم يذهبون الى عملهم وهو التجوال في القرى لجمع (البجم) من أشجار الاثل بقصبة طويلة بطرفها شص كبير وهو يستعمل في الصباغة

كنت في الصغر طلعة أحب الوقوف على كل شئ ، وكنت أقرب هذا البيت الصادح الباغم من الأصيل بمنظار ، فكنت أرى النساء يكنسن فناء الدار ثم يرشونه ويفرشون الحصر ويصفون الآلات الموسيقية من دلوكات وطبول مختلفة الأنواع والكستوفون الفطرى المصنوع من قطع الخشب الرنانة المختلفة الاحجام ، والكيزان الصفيح المحشوة بالحصى الصغير يحملونها في أيديهم ويهزونها لتحدث (دوكة) مخصوصة وقت التوقيع . وحينما يقبل رجالهن بعد الغروب يهين لهن ثم يريد العسدى ، ثم نصف أقداح البوظة ، ثم يدخلون ويتسامرون ساعة الى أن يأتى وقت الموسيقى فينشطون لها ويأخذ كل منهم آتله الموسيقية ويهين الباقون للرقص والغناء ، ويستمررون في لهوهم الى مطلع الشمس دون أن يناموا ، ثم يذهبون الى عملهم ويقنعون بأن يقلوا ساعتين بعد الغداء في ظل شجرة

إن الموسيقى الشرقية كنز آخر بالجواهر والا لى واليوافيت ، ولكننا لا نعرف كيف نستخرجها ونبريها بذوق سليم حتى تليق لان نزين بها تيجان الملوك . إن للموسيقى العربية مائة نغمة (مقام)

مستقبل الانسانية

للكاتب الاجتماعى ه. ج. ويلز H. G. Wells

تحليل وتعليق شهندي عطيه الشافعى

كان عجيبا حقا أن يتخرج ويلز فى كلية العلوم الملكية حيث الهندسة والجبر والميكانيكا ليصبح روائيا له مكاتته العالمية . وكان غريبا وهو رجل العلوم والرياضيات ان يتخطى السنين فيخلق على أجنحة الخيال ليكتب عن القمر وسكانه والمريخ وسبيل الوصول إليه . ثم يهبط الى الأرض فيوجه الى المجتمع الحديث بما فيه من نظم واوضاع قارص النقد رشيد اللوم . تثقف ويلز ثقافة علمية صحيحة ، وامعن فى القراءة لدارون وآمن بنظريته فى النشوء والارتقاء ايمانا لا يتطرق اليه الشك . وتتبع محاضرات هكسلى تيليد دارون بشغف لامزيد عليه . والتهم معظم مؤلفات سبنسر . وكان اعجابه شديدا بوليام جيمس عالم النفس المعروف والفيلسوف التجريبي .

..... ولكنه مع كل هذا كان رجل الخيال الرائع والاحلام الذهنية قبل أن يكون رجل المعضلات الحسائية والنظريات الهندسية ، وكان لابد أن يتضارب الخيال مع الواقع . وإن تتناقض الدروس التى تلقاها فى علم الكائنات الحية وغرامه بالراويات والقصص . ولكن ويلز كان عقلية خصيبة من هذه العقليات التى تهضم كل شئ حتى لتستطيع ان تمزج الخيالات والحقائق ، وتخطط للتشريح والعواطف ، وتوفق بين الروح العلية والروح الشاعرة . ولذا تجده فى كتاباته يحيطك بشباك من حقائق علمية لا يمكنك انكارها . ثم يحرك فى رفق وهواة الى أشد ضروب الخيال اغراقا فى الخيال ، واكثرها بعدا عن العقل ، ولكن لا يسعك إلا أن تسلم بما يقول وتوقن بما يكتب .

إن الانسان بكل ما فيه من جمال وكل ما وهب من عقل لم يكن يوما من الأيام إلا قردا ممسوخا لاجمال فيه ولا عقل له .

هكذا كانت الصيحة التى فوجئ بها البشر من فم رجل قبيح الوجه عرفه الناس باسم دارون .

ولم يكن فى هذه الصيحة من جديد . فقد سبقه اليها العالم «لامارك» ولكن دارون زعم ان هناك سنة للحياة لا يحيد عنها . وقانونا صارما لاسبيل للهروب منه : هو قانون تنازع البقاء .

أو أكثر من مائة وزن (الضروب) ولكن اين النابغة المثقف الذى يحسن التأليف والتلحين

إن بعض الملحنين ينزعون فى تلحينهم الى اختطاف الحانهم من الألحان القديمة ، ثم يخلطونها بشئ من الموسيقى الافرنجية المنحطة التى تسمعها فى افقر المقاهى الافرنجية ويظنون لسنا اجتماعهم انهم جددوا الفن ونهضوا به ، وما دروا انهم شوهوه وفوضوه وهذا جرم كبير لا يغتفر ، غيرنا به كثير من المستشرقين

كانت الموسيقى المسرحية قد خطت أول خطوة فى سبيل النجاح . ولكن القائمين بامرها لم يحسنوا ادارتها ، وكان ينقصهم الخرم والتدبير والدوق الفنى ، فلذلك فشل المشروع فى عامه الثانى واستمرت الموسيقى المسرحية فى التمثيل الهزلى ، والحمد لله قد نشطت هذه المسارح وسارت فى سبيل الرقى لولا ما يصادفها من عقبة لم تذلل وهى ندرة المطربين والمطربات الحائزين للاصوات الجميلة القوية الرنانة والثقافة الموسيقية الصحيحة

انا معشر المصريين مقصرون فى تجميل بيوتنا وانعاشها بالفنون الجميلة حتى نسكن اليها بعد عناء العمل ، ونجد فيها من وسائل السرور والانس ما ينسينا آلامنا وينعشنا ويحدد قوانا

نجد الاسر الافرنجية تهتم بتعليم أبنائها الموسيقى ، وتعنى ربة الدار بنظام الحديقة وتنسيقها حتى تصبح جنة مصغرة ترتاح اليها النفوس المتعبة ، وفى المساء تجتمع الاسرة فتحى حفلات موسيقية ترقص لها القلوب وتنسى فيها الهموم والآلام

أما بيوتنا التى تجردت من جميع مظاهر الجمال والانس حتى نفرت منها النفوس ولم يطق الابناء أن يطيلوا المكث فيها فينصرفون الى المفاصد من تجواهرهم ومعاشر ذوى الاخلاق الضعيفة فلا يلبثون أن تتسرب اليهم عدوى الرذائل ويضحون فى عداد الحشرات المؤذية إن الموسيقى لغة القلوب ومهذبة الاخلاق ، ومرفقة الطباع ومبددة الهموم والاشجان ، وخير لنا أن نهم بها فى أوقات فراغنا ونسعى فى رقيها حتى نعيد عصر زرياب واسحق الموصلى

فى حرم

الجامعة المصرية

تقع مكتبة الطالب لمنشأها ومديرها الأستاذ خطاب عطية B. A من الجامعة المصرية ، لمبيع الكتب الافرنجية والعربية ، علمية وأدبية وقانونية ، وبها قسم للمجلات والأدوات الكتابية

فهذه الحياة تضطرب بملايين من المخلوقات تتباين في نموها وتختلف في تركيبها، ولكن لا تلبث الحياة أن تضيق ذراعها فتقدر لها أن تشتبك في قتال وحشي، ثم لا يبقى منها حيا إلا اقواها وأصلحها.

وإذا كانت القروود قد تمخض عرا كها عن انسان يسود اليوم وجه الارض. فأي مخلوق جديد سيكشف لنا عنه الغد! تساؤل تملك ويلز تملكاً قويا وكان محوره: والى اين هذه الانسانية؟ وأي فئة من البشر مقدر لها البقاء؟ وأيها يحكم عليه بالقناء؟

ولقد زعم ويلز انه مستطيع ان يهتك اللثام عن وجه هذا الغد المجهول فيصور لنا تصويرا دقيقا رجل المستقبل، جسمه وعقله ونفسيته والمجتمع الذي يعيش فيه!

ولكنه كان في كتابته حذرا، فهو يستند دائما الى الحقائق الثابتة، ويسترشد بماضى التطور الانساني، ويعتمد على مجريات الحوادث. مما رفع به إلى مصاف كبار المفكرين. وجعل لرواياته الشيقة صبغة علمية محترمة.

فنزاه يدرس الماضي ويحاول ان يستشف منه المستقبل، يستنتجه استنتاجا ومقدماته في ذلك فروض علمية صحيحة.

واليك مثلا هذه المحاولة الكبرى من جانب الانسان في سبيل التحرر من قيود الطبيعة. فها هو قد فك عن نفسه الثقل الذي يربطه الى سطح الأرض فارتفع في الهواء. وها هو قد تغلب على مضطرب الامواج، فامتطى البحار، وعلى صعب الأرض فشق في جوفه المسالك والطرق.

واذن فن الطبيعي ان يستمر تطوره في هذه الناحية قويا. فهو لا بد يوما متخلص تخلصاً تاماً من جاذبية الأرض ليصعد إلى القمر وليسبح منه الى المريخ وليهبط منه إلى زحل!

ومادام الانسان قد استغل بعض عناصر الطبيعة من كهرباء وبخار فسخرها في إدارة آلاته وتسيير قاطراته، فليس عجيباً الا يدع عنصراً الا استخذه غير تارك في ذلك موج بحر أو نور شمس أو حرارة في جوف أرض.

وما دام البشر قد تغلبوا على بعد الشقة وطول المسكان بما أوجدوه من سريع الطيارات، فليس بعيداً أن يخترعوا آلة يتحكمون بها في الزمان. ماضيه ومستقبله.

فلا يرتبط رجل الغد بزمان أو مكان. قد يكون في شرق الأرض، فإذا به في غربها. قد يكون في السنة الحاضرة فإذا به قد تركها ليعيش في الماضي السحيق أو المستقبل البعيد.

ولن يرضيه وقد تخلص من قيود الطبيعة أن يستمر أسيراً لأغلال

الجسد. فهو يركب غذاء يتمكن به أن يكون له من الجسم جباره ومن العضلات مفتولها، فلا يصيبه وهن ولا تعتوره شيخوخة. وهو يتقدم الطب، وبقليل أو كثير من الرياضة يستطيع أن يتحكم في أعضاء جسمه. فلا يبقى منها على عضو لا فائدة فيه، ولا يدع عضواً نافعا إلا قواه. فعدته التي تجر عليه أمراضا يحتاج لعلاجها الى ألف طبيب وطبيب. لا بد متخلص منها إلى معدة صناعية تقوم بوظيفة الهضم أحسن قيام! وأنفه هذا الذي كثيراً ما يصيبه بالزكام يجب أن يستبدل به أنفا حديديا لا يتطرق اليه برد ولا تنزف منه دماء!

وهو قد يضايقه الخضوع للنظام الجنسي فقلبه عبقرته طريقة للتنازل عن طريق غير طريق المرأة فلا يحتاج اليها ولا يحتاج اليه. وطبعي بعد هذا أن تخفى لديه تلك العواطف الرقيقة من حب وشفقة وحنو. فهي كلها مظهر ضعف لا يليق به، وهو لن يعترف إلا بالعقل يدين له وبالمادة يؤمن بها. وبالقوة يخضع لها أو يناجزها.

سيكون إنسانا جباراً بكل معنى الجبروت، عظيم الخلقة، شديد الذكاء، قوى الإرادة، لا عواطف له ولا قلب. ثم لا مكان له ولا زمان. لا يعرف النوم، ولا يفهم السكالك، ولا يصيبه المرض (١)!

ثم ينتقل بك ويلز الى رسم لا يقل غرابة لحالة المجتمع الذي يمكن أن يعيش فيه البشر غدا. ولكنه يتأثر في هذا بأراء ماركس. وماركس هو هذا الألماني الذي زعم أن المال يتجمع في أيدي أفراد قلائل يتمتعون بأطياب العيش، بينما هناك ملايين من العمال محرومون لا يكادون يجدون ما يتبلغون به. ثم تنبأ بثورة هائلة تقوم بها الغالبية الساحقة من الطبقات الفقيرة يذبحون فيها الاقلية الضئيلة من أصحاب رؤوس الأموال.

وبذا يسدل الستار عن مأساة كبرى قد تكون خاتمة الحياة الانسانية أو بدء حياة جديدة هائلة سعيدة.

(١) قد يلد لك الاطلاع في هذه الناحية فليك بالرجوع الى كتب ويلز الكثيرة

نذكر منها:

حرب العوالم	The war of the worlds
آلة استكشاف الزمان	The time machine
الانسان الخفي	The invisible man
أول الرجال في القمر	The first men in the moon
طعام الآلهة	The food of gods
الحرب في الهواء	The war in thr air

وقد كان لهذه النظرية أثر عميق في كتابات ويلز عن مجتمع المستقبل. إلا أنه ذهب شوطاً أبعد، فزعم أن الفروق بين العمال وأصحاب رموس الأموال ستفقد فلا تقتصر على نوع المعيشة بل سيتناول الجسم العقل فيقسم البشر طائفتين متباذلتين متفاوتتين. طائفة قوية جبارة تسمو إلى أكثر ما يمكن أن يسمو إليه إنسان، فتكون نوعاً بذاته له مميزاته. ثم طائفة أخرى تنحط إلى أقصى حدود الانسانية. مكانها تحت الأرض. وعملها آلة تديرها، ويكون من نتيجة المعيشة التي تعيشها أن يتكيف عقلها فيصبح قاصراً محدوداً ويشوه جسمها فلا يصير قادراً إلا على حركة واحدة بأنيتها.

ويشتد هذا الاختلاف وضوحاً. وبقوى هذا التباين ظهوراً، حتى تختفى أوجه الشبه بين الفريقين فلا تمازج بينهما ولا تزواج ولا عاطفة هناك ولا علاقة. اللهم إلا تحكم قوى في ضعيف. وهنا يتردد ويلز كثيراً. فهو لا يملك إلا أن يتساءل. أهذا هو الفصل الأخير من رواية الانسانية؟ أم ذلك بداية لثورة يشورها سكان ماتحت الأرض يحاولون فيها تخلصاً من ربقة العبودية الثقيلة؟

ويتحدث ويلز عن هذه الثورة ولكنه يهرب من التكهن بنتيجتها الحاسمة، فهو في شك وأنت تعجب لهذا الشك. فكيف يمكن لقوم قد هزلت أجسامهم وضعفت عقولهم أن يصمدوا لطائفة لها من العقل أرقاه ومن الجسم أقواه؟

ولكن ويلز يعود فيعطيك صورة أخرى لهؤلاء الجبابرة من رجال الغد. فهم بعد أن استكشفوا مافي السموات والأرض وبعد أن تسنموا الرقي حتى قمته لا يجدون ثمة عملاً يعملونه، أو معضلة يفكرون فيها، أو شاغلاً يصرفون فيه ذكاهم، فيلجأون إلى الرفاهية والتهتك ينهلون منها الكأس حتى الممالة. وإلى الترف والخلاعة ينسون بها ما قد يلحقهم من سأم قتال، فتخبو ملكاتهم وتضعف قواهم وتحل عظمتهن.

ولا شك أن حرباً تقوم بينهم وبين عمال الأرض السفلى هي حرب سجال!

لا يسمعك وأنت تقرأ لويلز إلا أن تنسى نفسك فتحمس إذا ما تحمس وتضحك معه إذا ما ضحك، وتنشأ له لشاؤمه. وينسيك إعجابك بالقصة وبغرابة أفكارها وروعة خيالها. ينسيك موطن الضعف من ويلز.

فهذه الصور التي صورها عن التطور البشري صور مغرية فيها بعض الحق وناحية من الصواب، ولكنه ليس كل الحق ولا معظم الصواب.

فوق قد تجاهل عاملاً هاماً له أثره الخطير. تجاهل هذا التوازن الدقيق الذي نشاهده في قوى الطبيعة. فلا يرتفع جزء من الأرض إلا أنخفض جزء، ولا يهدم بناء إلا وقام بناء ولا يتشقق صخر إلا التأم آخر.

وهكذا لا يمكن أن يقوى العقل إلا أنى إلا على حساب الجسم ولا تتاح للمعضلات أن تضخم إلا إذا فقد العقل بعض قوته. وهذه الصورة التي أعطاها ويلز عن إنسان الغد مبالغ فيها إذ يختل فيها التوازن اختلالاً واضحاً.

فهاهو الإنسان إنسان منذ العصور التاريخية وليس هناك من يزعم أن مقدرة العقل الانساني أو قوة جسمه قدزادت زيادة تسمح لويلز أن ينسب لرجل الاجيال القادمة قوة عقل خارقة يصحبها قوة جسدية لا حد لها.

وهذا التوازن ينسأه مرة أخرى في الصور التي يبدها عن مجتمع الغد. ففظرية ماركس القائلة بأن الثروة مصيرها إلى التجمع في أيدي نفر قليل، والتي أخذ بها ويلز نظرية لا يتاح لها أن تتحقق، فالثروات اليوم تتجه إلى التوازن، وعامل اليوم يساهم في الشركات التي تقوم عليها الأمور. والمال يتبدد ويتوزع بين الأفراد، والأزمات المتلاحقة تهدد من كيان بيوت المال الضخمة، ومن كبار الأغنياء أكثر مما تقلل ثروة الفقير أو العامل الأجير.

لذلك نأبى تصديق ويلز فيما ذهب إليه من أن الانسانية قد تنقسم طائفتين متباذلتين. بل نرى عكس ذلك، فالعامل في رقي عقلي يساعده ما يجد من ساعات فراغ كان لا يجدها بالأمس، ويعاونه اتساع مجال الثقافة وانتشار التعليم انتشاراً سريعاً.

ثم إن الفروق الاجتماعية في طريقها إلى الزوال، فالكل قد تساوا اليوم في الحقوق والواجبات، والكل قد يتساوون غداً في العلم والثروة ونظام الطبقات الذي كان يضع فواصل من حديد بين الشريف والحقير هو في سبيله إلى الانهيار أن لم يكن قد أنهى منذ زمان.

ثم شيء آخر نوافق عليه ويلز ونخالقه فيه، نوافقه على ما يكتبه من تطور الإنسان الآلى وتقدمه في إخضاع عناصر الطبيعة. ولكننا نخالقه في أن هذا التطور قد يتجه بالإنسان إلى ناحية مادية لا يخضع فيها إلى قانون ولا يؤمن بدين ولا يعترف بخالق. إن ناساً كهؤلاء لا يستطيعون مكثاً في الأرض ولا مضياً. فهم بماديتهم وجشعهم واسفافهم الخلقى لابد متقاتلون، متناجزون، فلا يبقى فرد منهم فرداً. ولا تحسب أن هذه الملايين من السنين التي مضت على تاريخ البشرية ستنتهي إلى مخلوقات ويلز البشعة. فنحن نؤمن أن الطبيعة التي طورت القرد إلى إنسان حسن التكوين، متناسق الصورة قوى

شخصية . . .

« لقد سمعت أن أكون على الدوام رجلاً عاقلاً ،
« أوليفر جولد سميث ،

يتكلف الصدق في إبريل ليصدقه الناس حين يكذبون
العالم بأجمعه ؛ ثم يطلق نفسه على سجيته باقي شهور السنة ،
فيكذبه الناس حين يصدقون العالم بأجمعه .
وهو يحاول قدر طاقته أن يصوغ حقائقه المكذوبة
صياغة صادقة ، ولكن مقدرته الفنية على ذلك ليست كبيرة
وإن كانت في نظره ، ومن غير تصريح ، عظيمة بالغة !!
وأؤكد أنه لو شك يوماً في مقدرته على سبك الأكاذيب ،
لحجل ، وكف ، واتزن .

ولكنه لأمر ما ، غريزي ولا شك ، يكذبك دون أن
يشعر أنه يكذب حقاً ، أو هو يتصور من فرط عنايته
بالصياغة أنه يصدقك حين يتكلم إليك . أستطيع أن أفهم هذا
من أنه يتألم إذا اتهمته بالكذب ، ويغضب لكرامته غضب
من يروى لك خبراً صادقاً وأنت تشك في روايته .

الشعور ، طبيعة فنانة ذكية عاقلة ! وليست هي مجموعة من المصادفات
الهوجاء .

ونحن نظن أن الانسانية التي كانت تسير على غير هدى بالأمس
قد أصبحت اليوم شاعرة عاقلة تحس نفسها وتتساءل عن مصيرها ،
ولقد شارفت الأفول شمس هذا اليوم الذي كان يسير الناس فيه
عمياً لا يبصرون ، ويخضعون ويتألمون ولا يدرون ، لماذا يتألمون .
وسيفرب هذا اليوم ليشرق غد عن انسانية أكثر استنارة ، وأقل
حيوانية وانزع الى الكال ، وأعرف بمواطن الضعف ، وبطرق العلاج .
هذا ما يحملنا على الاعتقاد بأن هذه الناحية من كتابات ويلز
الاجتماعي ليست بالناحية الخالدة وإن كانت هذه الناحية هي التي برز
فيها واشتهر باتقانها .

لقد طرق ويلز موضوعاً آخر أبدع في علاجه ابداعاً لا شك أنه
رافع اسمه الى الخلود .

وهذا ما قد يحدونا الى الكتابة عنه مرة أخرى ؟

شهدي عطيه الشافعي

بكالوريوس آداب

وهو يواجه الناس بمقدرة عظيمة على دفع اتهامهم اياه ،
وينبى لهم ليرد عن نفسه سيل الانتقاد الجارف . وهو بارع
في مواجهته لأكثر من شخص في الوقت الواحد .

وهو إذ يروى لك رواية ، يهذبها قبل أن يلقيها اليك بقدر
ما تسمح مقدرته على التهذيب ؛ ثم هو يعود فينتدرك ما قد
يكون فيها من تنافر وتضارب مع بعض الحقائق التي قد تسارع
الى رأس سامعه ، فينتظر ريثما يفهم نوع استقبالك لحديثه
واستساغتك له ، فإذا لم يكن بد من الاستدراك ، سارع الى
الاعتذار بقوله : « إنني لم أحسن التعبير » ثم يروح يفكر ،
ويفكر ، ويزيد على الاعتذار السابق قوله : « إنني أقصد
بالضبط أن أقول كذا وكذا »

وأنت مضطر الى أن تقبل الاعتذار عن ضعف التعبير
أولاً ، ثم عن ترقيع الرواية ثانياً ، لأنه صديقك ، وللصدقة
حقها . ثم لسبب آخر غير الصداقة إذا كنت ممن يرون الحياة
ثقيلة إذا ظلت دائبة على الصدق ، وتحرق الحقيقة . . ففي
الكذب متسع عظيم للخيال الشارد والخيال المثرن ، وفي
الصدق تحقيق وتدقيق ، وأخذ بأسباب الحقيقة ، والحقيقة
لا تعدد ، وصاحبنا من أنصار التنويع والتعدد ، فهو بما
يخترع من الروايات ، وما يلفق من الأحاديث ، ينتقل بك
من الجسد الثقيل على النفس إلى جد آخر ، من صنعته هو !
بلغ فيه عنده حد الابداع في السبك وحسن الأداء ؛ فإذا ضيقت
عليه المسالك ، وأخذته من كل ناحية ، وأعملت المنطق في
قضايها ، وسلطت الحقيقة المرة على خياله الحلو ، انحسرت
عن صاحبنا كل مسعفة من حسن الأداة وبراعة الحبك ،
وتخلت عنه فجأة شياطين الأكاذيب التي اعتادت أن تواتيه
بالهام كلما استلهمها ، وفزع اليها .

والحق أن تلك الشياطين كانت أطوع له من بنانه ، فلم
تكن تشعر أن هناك فترة تمضي بين ضراعتيه اليها في أخرج
مواقفه وبين استجابتها لضراعتيه ، حتى لتكاد تعتقد أنها كانت
تلازمه أينما ارتحل ، متحفزة لكل نداء ، متأهبة لكل تلبية .
وإن أعجب من شيء ، فليس يبالغ عجبى من هؤلاء العباقر ،
ومن اجتماعها على خدمة هذا الرأس الصغير المستدير ، ومن

والتقى بمن كلفه مهمة البلدة فابتندره بقوله : « أنا آسف
جد الأسف ، لأنى قد مضيت الاجازة كلها فى القاهرة ! »
فلما التقى بالآخر كان لزاماً عليه أن يعتذر عن تقصيره ،
فقال : « أرجو المعذرة إذ قد مضيت أجازتى كلها فى البلدة ،
اذ وردتنى رسالة برقية فى آخر لحظة تستدعينى إليها على عجل
لأمر عائلى » .

وكان يلذلى شخصياً اصطناعه لهذه الأحاديث - أحياناً -
فاكون فى نظره الصديق الذى ما بعده صديق ! وأكون
أقرب شخص الى قلبه ، وأقرب فكر الى فكره ، ويكون
منطقى طبق الأصل من منطقته ! (كذا)

وأنا حين أكون هذا الشخص أجرى على حكمة أوليفر
جولد سميث « لقد سئمت أن أكون على الدوام رجلاً عاقلاً »
ولكنى كنت أضيق يصاحبى ذرعاً ، حين كانت نزعة
الحقيقة والعقل تغلب عندى على كل خيال حلو تنتجته قريحة
صاحبى ، فأقف منه فجأة موقفاً يصفه هو بالعداء ، وأصفه
أنا بتحرى الحقيقة والتزامها ليس غير .

فاذا بلغت الحال بنا هذا الحد من التخرج ، بحثت لصديقى
عن هنة من هناته التى تمت الى الكذب الصريح بصلة قريبة .
وحضرنى فى آخر موقف أن أعنفه على إهماله لإرسال
بطاقة (المعايدة) التى اعتاد الناس تبادلها فى العيد ، فابتدرنى
بهذا السؤال :

— أليس عنوان بيتكم رقم ١٩ شارع ؟

— قلت نعم (متخابثاً)

— قال لقد أرسلت لك المعايدة على هذا العنوان .

— قلت وما رأيك اذا كان رقم منزلنا ١٦ لا ١٩ ؟

— فسكت صاحبى سكوتاً أشفقت عليه منه ، ومع ذلك

لم يمنعنى اشفاقى عليه من أن أذكره بفلسفته الخالدة : « إنى
ألف الكذب ينبجى من المأزق » ١١١

— وسأله : إلى أى حد تنطبق فلسفتك على هذا
المأزق ؟ وكيف خلاصك منه ؟ . . .

ابراهيم ابراهيم جمعه
« ليسانيه »

مقدرتها على تأليف الصور من الشئيات المتنافر ، وتركيب
الأخيلة من الخطام المتناكر ؛ ثم من عجزها وتخليها فجأة عن
النهوض بأعباء المهمة التى أرسلت لها ، حين تهبط ملائكة
الحق لتنفذ الموقف . . . فيتعذر إذن أن يجتمع ملاك وشيطان .
فاذا انجابت عن صاحبنا شياطين أكاذيبه ، دق موقفه ،
وتخرج ، فمال على محدثه يلتمس عنده المعذرة عن هذا
الموقف المتجرد - لا بالقول بعبرة الأسف المألوفة - بل
بالانضمام الى محدثه دفعة واحدة ، ومشايعته فى رأيه ، وفى
منطقه ، وفى حملته على هذه الأكاذيب الصريحة ! حتى لكأنهما
يحملان معاً على شخص ثالث ١١

فاذا التفت اليه التفاتة ذات معنى ، تقلص وقطب ، ثم
هش بغته ، واحمر ، ثم غاض الدم من وجهه ، وتهذلت شفته
السفلى وغغم ، فاذا دقت ، فهمت أنه يريد أن يقول ماموئداه :
« وماذا على ؟ إنى ألفت الكذب ينبجى فى كثير من المأزق »
وهذه هى خلاصة فلسفته التى يصارحك بها فى الوقت
المناسب .

تردد يوماً ما فى قضاء أجازة قصيرة بين بلدته وبين
القاهرة .

اعتزم أن يزور بلدته لأن فترة طويلة مضت دون أن
يرى أهله وذويه .

واعتزم أن يزور القاهرة لأنه مل حياة الريف الرتيبة
المملة ، وتاق الى حياة القاهرة الصاخبة بما تستحدث كل يوم
من صنوف المسليات ، وأراد أن « يشعر بالحياة » على
حد تعبيره .

فلما اعتزم السفر الى بلدته ، كلف بأمر من الأمور التى
تمت الى حياة القرى بصلة .

فلما اعتزم السفر الى القاهرة كلف من صديق له بأمر
من الأمور التى لا يسهل قضاؤها من غير العاصمة . وحمل
النقد الكافى لذلك .

ومضت الاجازة كأن لم تكن . وعاد صاحبنا إلى
مقر عمله .

مطالعات في التصوف

عوارف المعارف — ماهية التصوف — أصل كلمة صوفي

— ٣ —

لعل حظ كل من البابين الخامس والسادس من الأهمية والقيمة العلمية أكثر من حظ غيرهما . فهذان البابين يدلان دلالة واضحة مستقيمة لا ليس فيها ولا اعوجاج على ماهية التصوف وكنهه وعلاقته بالفقر والزهد ، والفرق بينه وبين الفقر والزهد . هذا هو ما يتناوله الباب الخامس من كتاب عوارف المعارف فيما قدم لنا فيه مؤلفه من تعريفات متنوعة للتصوف . أما الباب السادس فإنه يظهرنا على مسألة ليست أقل من سابقتها خطرا . ولكنها على العكس أبعد ما تكون أثرا في اعانتنا على فهم التصوف وما مر به من أطوار فيها مستقيما . وأعني بها مسألة الاصل الذي صدرت عنه كلمة صوفي وتلك مسألة قد عرض لها مؤلف عوارف المعارف في نهاية الباب الاول من كتابه فأشار اشارة موجزة الى أن هذه اللفظة لم تذكر في القرآن وإنما تركت وذكر مكانها لفظ المقرب . وإذن فالمؤلف يفصل في الباب السادس من كتابه ما أجل في الباب الاول . وهو يعرض علينا في شيء من الاستطراد الآراء المختلفة التي رآها العلماء المختلفون في الاصل الذي أشتقت منه هذه الكلمة . وهو ينتهي من هذه الآراء كلها الى الرأي الذي يلائم طبيعة الاشتقاق اللغوي من ناحية . ويدل دلالة صحيحة على طبيعة الصوفية وماهية التصوف من ناحية أخرى . وبالجملة يمكننا أن نقول أن هذين البابين من كتاب عوارف المعارف أقدر على اعطائنا فكرة عامة شاملة تستطيع أن تظهرنا على لب التصوف .

١ — ففى الباب الخامس يقدم الينا المؤلف طائفة من التعريفات اختلفت في مبانيها واتفقت في معانيها . وهو يظهرنا من خلال هذه التعريفات على ماهية التصوف والفقر والزهد . ثم هو ينتهي من هذا كله الى أن هناك فرقا بين التصوف من ناحية وبين كل من الفقر والزهد من ناحية أخرى . كما أنه ينتهي الى أن أساس التصوف وقوامه إنما هو الفقر ولكي أكون لديك صورة صادقة لما اشتمل عليه هذا الباب لابد من أن أقف بك وقفة قصيرة تلم فيها بأهم التعريفات التي عرضها علينا المؤلف لتبين منها ماهية التصوف :

(١) قال رويم : « التصوف مبنى على ثلاث خصال : التمسك بالفقر والافتقار . والتحقق بالبذل والايثار . وترك التعرض والاختيار . »

(ب) وسئل الجنيد عن التصوف ما هو . فأجاب بقوله : « ان نكون مع الله بلا علاقة . »

(ج) وقال معروف الكرخي : « التصوف الأخذ بالحقائق واليأس مما أيدى الخلاق . فمن لم يتحقق بالفقر لم يتحقق بالتصوف . » وبعد أن ذكر المؤلف هذه التعريفات ، تراه قد قدم لنا تعريفات أخرى للفقر والفقير اليك أهمها :

(١) سئل الشبلي عن الفقر فقال : « ألا يستغنى بشئ مدون الحق »

(ب) وقال أبو الحسين النوري : « نعت الفقير الكون عند العدم . والبذل والايثار عند الوجود »

وانتهى مؤلفنا من هذه التعريفات التي قدمت ، الى ان هناك اشتباها بين التصوف والفقر . فانت ترى مثلا ان اشياء بعينها تذكر في معنى التصوف يذكر مثلها في معنى الفقر . وإن اشياء بعينها يرد ذكرها في معنى الفقر يرد ذكر مثلها في معنى التصوف . ومن هناك كان الاشتباه . وعن هنا أيضا كان لابد من التحقيق الذي يكشف الفاصل بين كل من التصوف والفقر ، والفرق الذي يميز ويحدد ماهية كل من التصوف والفقر ، وفوق هذا فإن الاشتباه ليس قاصرا على التصوف والفقر فحسب وإنما هو قد تجاوزهما الى التصوف والزهد . واذن فلا بد من التبحر الدقيق الذي يبين الفرق بين التصوف والفقر من ناحية والتصوف والزهد من ناحية أخرى . بحيث نلبيس الاشتباه الذي يمكن أن يكون بين كل من هذه الاشياء الثلاثة . ونميز الفرق بينها تمييزا يحدد كلامنا تحديدا من شأنه أن يحول بين اندماج بعضها في بعض أو تشابه بعضها مع بعض .

فانت اذا انعمت النظر ودققت الفكر في هذه المسألة تبين لك ان التصوف غير الفقر ، وان الزهد غير الفقر ، وان التصوف غير الزهد . وليس التصوف غير اسم جامع لمعانى الفقر والزهد باضافة صفات ونعوت لابد منها لكي يكون الرجل صوفيا . فقد يكون الرجل زاهدا وقد يكون فقيرا ولكنه ليس صوفيا . ولكنه لكي يكون صوفيا لابد له بين أن يكون زاهدا وفقيرا .

وليس التصوف زهدا أو فقرا باضافة صفات ونعوت فحسب ، وإنما هو شيء آخر ابلغ وأروع من هذا كله واقدر على تهذيب النفس ، وتنقية القلب ، وتصفية الضمير ، هو كما قال ابو محمد الحريري : « الدخول في كل خلق سني ، والخروج عن كل خلق ذني . »

وأهل الشام لا يميزون بين التصوف والفقر ، فهم يذهبون الى

الله وصف الفقراء بالصوفية . وإلى أن الصوفية سموا كذلك لأنهم فقراء . ولكن مؤلفنا قد تناول هذه المسألة بالدرس والتحقيق فأوضح غامضها وكشف عن وجه الحقيقة فيها بحيث أظهر لنا في وضوح وجلاء الفروق بين التصوف والفقر . وأول هذه الفروق هو أن الفقير في فقره متمسك بهراض عنه، مطمئن إليه . وهو في هذا كله قانع بما سيجد عند الله من العوض . وهو كلما أمعن في النطلع إلى هذا العوض ازداد اعراضا عما في الدنيا من اعراض زائلة وزخارف باطلة . وأما الصوفي فلا يرغب عن زخرف الدنيا وعرضها ابتغاء هذه الاعواض الموعودة ولكنه يفعل هذا من أجل الاحوال الموجودة . وثاني هذه الفروق هو أن الفقير حين يتمسك بفقره ويمتنع في ترك الدنيا واعراضها إنما يفعل هذا بأرادته واختياره على حين أنك ترى الصوفي قد تجرد من هذا الاختيار وهذه الإرادة . فهو في جميع احواله قد بحيث فيه مأسكة الاختيار وقبت أرادته في إرادة الله فناء تاما بحيث إلا يصدر في شيء إلا عن إرادة الله . ولا يرى فضيلة ما في فقر أو غنى ، ولكن الفضيلة عنده كائنة فيما أقامه الله فيه من حال . وليس ادل على أن الصوفي قد فقت أرادته في إرادة الله ، من قول الجنيد الذي عرف فيه التصوف بأنه . « هو أن يمتك الحق عنك ويحييك به » فمن هذا ترى الفرق واضحا بين التصوف والفقر . كما ترى أن التصوف قوامه ودعامته الفقر بمعنى أن الوصول إلى مراتب التصوف إنما يتوصل إليه بالفقر . على أن الفرق بين التصوف والفقر لا يقف عند هذا الحد ، وإنما هناك فرق ثالث يمكن تلخيصه في أن الصوفي هو من إذا استقبله حالان حسنان أو خلقان حسنان كان مع الاحسن . على حين أن الفقير والزاهد لا يميزان بين الحالين الحسنيين أو الخلقين الطيبين . بل هما يختاران من الاخلاق ماهو ادعى إلى الترك والخروج عن شواغل الدنيا حاكين بعلمهما . وعلى العكس من هذا ترى أن الصوفي يحكم على الاشياء ويستبين الاحسن بما اهتم من عند الله مستعينا في ذلك بصدق التجائه وحسن انابته وعلمه بربه . وبعبارة أخرى يمكنك أن تقول أن الصوفي لا يرى في الاشياء إلا ما يظهره الله عليه ولا يحكم عليها إلا بما أوحى إليه . فالصوفي على حد قول رويم ليس إلا استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريد . أو هو كما قال بعضهم أوله علم وأوسطه عمل وآخره موهبة من الله تعالى . والصوفي — كما قال سهل بن عبد الله — هو : « من صفا من الكدر . وامتلا من الفكر وانقطع عن البشر . واستوى عنده الذهب والمدر »

وخلاصة هذا كله هي أن الفقر أساس التصوف وقوامه .

وان التحقق بأحوال التصوف ومقاماته بنى على الفقر والزهد فيما اشتملت عليه الدنيا من زخرف ومتاع . وقد قص علينا مؤلف عوارف المعارف قصة رويت عن ذى النون المصري ، ولا بأس من إيرادها فهي تظهر لنا على ما انطوت عليه نفوس الصوفية من تمسك بالفقر ، وامعان في الزهد ، واغراق في الاعراض عن ملذات الدنيا وشهوات النفس .

قال ذى النون . « رأيت ببعض سواحل الشام امرأة فقلت : من أن أقبلت ؟ قالت : من عند أقوام تجافى جنوبهم عن المضاجع ، فقلت : وأين تريدن ؟ قالت : إلى رجال لانهمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله . فقلت : صفهم لي . فأنشأت :

قوم همومهم بالله قد علقت فما لهم همم تسمو إلى أحد
فطلب القوم مولاهم وسيدهم يا حسن مطلبهم للواحد الصمد
ما أن تازعهم دنيا ولا شرف من المطاعم واللذات والولد
ولا لبس ثياب فائق اتق ولا لروح سرور حل في بلد
الا مسارعة في أثر منزلة قد قارب الخطو فيها باعد الابد
فهم رهائن غدران وأودية وفي الشوامخ تلقاهم مع العدد
فهذا الشعر وإن كان ركيكا مهلهلا ضعيفا إلا أنه يصور لنا في وضوح نفوس الصوفية وقلوبهم وما احتوت عليه هذه القلوب وهذه النفوس من فناء في الله ، وذكر له ، واتحاد معه ، بحيث أصبحت نفوسهم لانفسكر الا فيه وقلوبهم لانزع الا إليه . وبحيث أنهم تجردوا عن كل شهوة ، وخلصوا من كل لذة ، وتحرروا من هذه القيود الجسمانية التي تفسد على الانسان حياته الباطنية وتكدر صفاء سريره النفسية .

وآية ذلك هي أن الصوفي دائم التصفية والتنقية لنفسه ما يشوبها من الاكدار . وهو فوق هذا دائم الحركة والاضطراب بدوام التجائه وافقاره إلى ربه . والتجاؤه وافقاره هما اللذان يهذبان قلبه وينقيان نفسه ويضيئان جوانب هذه النفس وهذا القلب بالمعرفة الصحيحة الصادقة التي تكشف له عن حقيقة الله وماهية الاشياء . وعلى هذا ترى أنه لا بد للصوفي من دوام الحركة والاضطراب بدوام الافتقار والاتجاء وحسن التفقد لمواطن اصابات النفس . ولنترك الآن الباب الخامس بعد أن وقفنا عند أهم ما اشتمل عليه ولنعرض للباب السادس حيث يحدثنا السهروردي عن مسألة لها قيمتها العلمية وخطورها العظيم في تاريخ التصوف وفهم الاطوار التي مر بها فهماً صادقا مستقيماً . وأغنى بهذه المسألة مسألة الاصل الذي صدرت عنه كلمة (صوفي) والمصدر الذي اشتقت منه ونسبت إليه ، والمؤلف حين يحدثنا عن أصل كلمة صوفي يعرض

علينا أهم الآراء التي رآها القدماء واختلفوا فيها اختلافاً تجاوزهم إلى المحدثين من المستشرقين وغير المستشرقين من علماء الشرق . ولعل مؤلف عوارف المعارف أميل ما يكون إلى أن هذه الكلمة ليست إلا نسبة إلى الصوف . وهو يستمد في رأيه هذا إلى أن الصوف كان لباس الانبياء فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يجيب دعوة العبد ويركب الخمار ويلبس الصوف . وحكى عن عيسى عليه السلام أنه كان يلبس الصوف والشعر ويأكل من الشجر ويبست حيث أمسى . فأنت ترى أن هذا الكلام إن صح كان طبيعياً أن يختار المتصوفة لباسهم من الصوف وكان بديهاً أن تكون نسبتهم إلى ظاهر لباسهم الذي ينسج منه . وهذا الرأي ملائم لما أخذ به الصوفية أنفسهم من زهد في ملذات الدنيا بصفة عامة وميل إلى اللباس الخشن وأعراض عن اللباس الرقيق الناعم بصفة خاصة ناهيك بأنه يلائم ملائمة تامة طبيعة الاشتقاق اللغوي . فيقال تصوف الرجل إذا لبس الصوف كما يقال تقمص إذا لبس القميص . وفوق هذا كله فانه نظراً لتقلب أحوالهم ومقاماتهم ودوام تقلبهم لم يكن هناك أمر يقيدهم ويجمع هذه الأحوال وهذه المقامات المتنوعة . ومن هنا كانت نسبتهم إلى ظاهر اللباس الذي اتخذوه ميزاً لهم مشيراً إلى ما يأخذون به أنفسهم من زهد وتقشف وورع . فكان ذلك أبين في الإشارة إليهم وأدل على حصر وصفهم . إذ أن ليس الصوف كان غالباً عليهم لتشبههم في ذلك بالانبياء والمقربين . ومن هنا ترى أن نسبتهم إلى الظاهر أوفق وأقرب إلى الاقتناع من نسبتهم إلى الباطن . فلو نسبوا مثلاً إلى حال ما ، أو إلى مقام ما ، كان ذلك أقل دلالة وأدنى إلى الغموض والابهام في الإشارة إليهم .

فما تقدم ترى أن نسبة الصوفية إلى الصوف أبين في تفهم حالهم وأدل على زهدهم وأقرب إلى التواضع منها إلى أي شيء آخر . وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن تسمية الصوفية بهذا الاسم راجعة إلى نسبتهم إلى الصوفة . وخلاصة هذا المذهب هي أنه لما كان الصوفية يؤثرون الذبول والخمول والانكسار والتواضع مثلهم في ذلك كمثل الصوفة الملقاة ، كانت تسميتهم بهذا الاسم نسبة إلى الصوفة . وهذا الرأي فضلاً عن أنه ملائم للدلالة على ما انطوت عليه نفوس الصوفية من الازدعان والذلة والخضوع فانه ملائم أيضاً لطبيعة الاشتقاق اللغوي .

وهناك رأي آخر يتلخص في أن الصوفية سموا بهذا الاسم لأنهم في الصف الأول بين يدي الله عز وجل لارتفاع همهم وإقبال قلوبهم على الله تعالى .

ورأي رابع ذهب فيه أصحابه إلى أن تسمية الصوفية بهذا الاسم

راجعة إلى نسبتهم إلى « الصفة » التي كانت لفقراء المهاجرين في عهد النبي . على أن هذا الرأي وإن كان صحيحاً من ناحية المعنى إلا أنه لا يستقيم من ناحية الاشتقاق اللغوي . فالصوفية يشبهون « أهل الصفة » من حيث أنهم فقراء مؤلفون في الله يجتمعون في الله . وأصحاب الصفة هؤلاء كانوا نحواً من أربعين رجلاً لم تكن لهم بالمدينة مساكن ولا عشاير . كانوا يصرفون بياض النهار محتطبين ويقضون سواد الليل متعبدين . آثرهم النبي بحبه لهم وعطفه عليهم وبره بهم حتى أنه كان يأكل معهم ويبحث الناس على مواساتهم . هم الذين نزلت فيهم الآية الكريمة . « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي » والذين نزلت في أحدهم وهو ابن أم مكتوم هذه الآية الشريفة : « عبس وتولى أن جاءه الأعمى » . فكان ذلك عتاباً للنبي ويقال أنه كانت توجد في بلاد خراسان طائفة من أهل الصفة لجأت إلى المغاور والكهوف ولم تسكن المدن والقرى . كان يسميهم أهل خراسان « شكفتية » لأنهم يطلقون على الفار لفظه « شكفت » فنسبواهم إليها . أما أهل الشام فكانوا يسمونهم « جوعية »

تلك هي أهم الآراء التي ذكرها السهروردي في أصل كلمة صوفي وقد أخذ بعدها في إظهارنا على أن هذه الكلمة تجمع المتفرق في الأسماء التي ذكرها الله في القرآن وسمى بها طوائف الخير المختلفة فقد سميت طائفة بالآبرار وأخرى بالمقربين وثالثة بالصابرين ورابعة بالصادقين الخ وانت إذا انعمت النظر فيما اشتملت عليه قلوب الصوفية من بر وصبر وصدق وذكر لرأيت أن لفظة الصوفي قد احتوت كل ما تدل عليه أسماء هذه الطوائف .

ويحتم المؤلف هذا الباب بذكر موجز لتاريخ كلمة صوفي فيقول أنها لم تعرف في زمن النبي وإنما عرفت في زمن التابعين . واثبت هذا بذكر كلام روى عن الحسن البصري قال فيه : « رأيت صوفياً في الطواف فاعطيته شيئاً فلم يأخذه وقال : « معي أربع دوايق يكفيني مامع » على هذا ذهب بعضهم إلى أن هذا الاسم لم يعرف إلى المائتين من الهجرة . فكان أصحاب رسول الله يسمون الرجل صحابياً حتى إذا انقضى عهد النبي سمي من أخذ العلم عنهم تابعياً . ولما ان تقادم عهد النبوة وانقطع الوحي وأقبل الناس على الدنيا وتهافتوا على زخرفها انفردت طائفة بالعبادة والتقوى واعرضت عن الدنيا فكانت هذه الطائفة هي الصوفية « الاسم سميهم . والعلم بالله صفتهم والعبادة حليتهم . والتقوى شعارهم . وحقائق الحقيقة اسرارهم » .

محمد مصطفى حلمي

ماجستير في الآداب

بلاط الشهداء

بعد ألف ومائتي عام

— ٨ —

تمة

ويقول السير ادوارد كرىزي : « إن النصر العظيم الذي ناله كارل مارتل على العرب سنة ٧٣٢ وضع حدا حاسما لفتوح العرب في غرب أوروبا ، وأقعد النصرانية من الاسلام ، وحفظ بقايا الحضارة القديمة وبذور الحضارة الحديثة ، ورد التفوق القديم للأمة الهندية الأوربية على الأمم السامية » (١) ويقول فون شليجل في كلامه عن الاسلام والإمبراطورية العربية : « ما كاد العرب يتمون فتح أسبانيا حتى تطلعوا الى فتح غاليا وبورجونيا . ولكن النصر الساحق الذي غنمه بطل الفرنج كارل مارتل بين تور وبواتيه وضع لتقدمهم حدا ، وسقط قائدهم عبد الرحمن في الميدان مع زهرة جنده ، وبذا أقعد كارل مارتل بسيفه أمم الغرب النصرانية من قبضة الاسلام الفتاك الهدامة الى الذروة » (٢) ويقول رانكه : « إن فاتحة القرن الثامن من أهم عصور التاريخ ، ففيها كان دين محمد ينذر بامتلاك إيطاليا وغاليا ، وقد وثبت الوثنية كره أخرى الى ما وراء الرين ، فنهض إزاء ذلك الخطر فتى من عشيرة جرمانية هو كارل مارتل ، وأبد هبة النظم النصرانية المشرفة على الفناء بكل ما تقتضيه غريزة البقاء من عزم ، ودفعها الى بلاد حديثة » (٣) . ويقول زيلر : « كان هذا الانتصار بالأخص انتصار الفرنج والنصرانية ، وقد عاون هذا النصر زعيم الفرنج على توطيد سلطانه لا في غاليا وحدها ولكن في جرمانيا التي أشركها في نصره » (٤) : « على أن هنالك فريقا من مؤرخي الغرب لا يذهب الى هذا الحد في تقدير نتائج الموقعة وآثارها ومن هذا الفريق المؤرخان الكبيران سسموندى وميشليه . فهما لا يعلقان كبير أهمية على ظفر كارل مارتل . ويقول جورج فلي : « إن اثره الكتاب الغالين قد عظمت من شأن تغلب كارل مارتل على حملة ناهية من عرب أسبانيا ، وصورته كانتصار باهر ونسبت خلاص أوروبا من نير العرب الى شجاعة الفرنج في حين أن حجابا القى على عبقرية ليون الثالث إمبراطور (قسطنطينية) وعزمه مع أنه نشأ جنديا يبحث وراء طالع له ولم يكده يجلس على العرش

- | | |
|-----------------------------|-----|
| Decisive Battles | (١) |
| Philosophie der Gesoleciete | (٢) |
| History of the Rebornation | (٣) |
| Hist. de L'Aelmagne | (٤) |

المستشرق برجستريس

(Gotthelf Bergstraesser)

٥ ابريل سنة ١٨٨٦ — ١٨ أغسطس سنة ١٩٣٣

للدكتور اسرائيل ولفنسون

مدرس اللغة العبرية بكلية الآداب

وقع نظري أثناء مطالعتي في الجرائد اليومية التي وصلتني من المانيا على خبر لم يوضع في مكان بارز كأنه ليس من الاهمية في شيء ، ورد فيه نعي جوتهلغ برجستريس أستاذ اللغات السامية بجامعة ميونيخ ، سقط أثناء رحلة رياضية في جبال الالب من قمة جبل جلوكنر الى هاوية توفى فيها على الفور ، لو وقع هذا الحادث منذ سنوات قليلة لكان قد وضع في مكان أبرز ، وعلى حالة تلفت القراء أكثر مما هو في جرائد هذه الايام ، لأن المانيا الحالية ليس فيها من يعبأ كثيرا بمن توفى من العلماء المستشرقين ، ولكني روعت لهذا الخبر الذي أدمى قلبي وملاه حزنا وأسى

كان علم الاستشراق قد قطع شوطا بعيدا في أواخر القرن الماضي في جامعات أوروبا على العموم ، وفي المانيا خاصة حتى وصل يحوث نولدكه وجولديسهر ويت ويستفولد وليتش وغيرهم الى اوج مجده ثم أخذ بعد انتهاء الحرب العظمى ينحدر من قمة الجبال الى بطون الوهاد ويتضاءل شيئا فشيئا

حتى احبط خطط الفتح التي أنفق الوليدوسليمان طوبلا في تدبيرها » (٥) ونحن مع الفريق الاول نكبر شأن بلاط الشهداء ايما اكبار ، ونرى انها كانت أعظم لقاء حاسم بين الاسلام والنصرانية ، وبين الشرق والغرب ، ففي سهول تور وبواتيه فقد العرب سيادة العالم بأسره وتغيرت مصائر العالم القديم كله وارتد تيار الفتح الاسلامي أمام الامم الشمالية كما ارتد قبل ذلك باعوام امام اسوار قسطنطينية واخفقت بذلك آخر محاولة بذاتها الخلافة لافتح امم الغرب واخضاع النصرانية لصولة الاسلام ، ولم تنج للاسلام المتحد فرصة أخرى لينفذ الى قلب أوروبا في مثل كثرته وعزمه واعتزازه يوم مسيره الى بلاط الشهداء . ولكنه أصيب قبل وبعد بتفريق الكلمة ، وبينما شغلت اسبانيا المسلمة بمنازعاتها الداخلية ، اذ قامت فيما وراء البرنيه إمبراطورية فرنجية عظيمة موحدة الكلمة تهدد الاسلام في الغرب وتنازعه السيادة والنفوذ

محمد عبد الله عنان

Agyptine Empire

(٥)

ويجب أن يلاحظ أن الحرب العالمية قد أدت إلى انحطاط العلم على العموم في أوروبا، لأن التفكير الجدى والقراءة الدقيقة انقطع عنهما الشباب الذى أخذ يميل إلى البحوث السطحية وإلى اكتساب العلم عن طريق الراديو والسينما، كما انتشر في الجامعات توغل جبهة الطلبة في الشؤون السياسية والحزبية أكثر من توغلهم في البحوث العلمية

وقد توفي من خيرة الاساتذة المستشرقين (جولدسيهر ونولدكه شيلجبرج وييجر وهورديتس) دون أن يأتى غيرهم فيملاً الفراغ الذى تركوه في شتى العلوم التى كانوا يضجون حياتهم فى سبيلها . واما الآن فوجد عددا غير قليل من الاساتذة يملأون أروقة الجامعات فى ألمانيا وهم من الذين يناصرون الحزب الذى يقبض الآن على ناصية الحكم فى البلاد . . . هذه الافكار أخذت تغلق بالى فى تلك اللحظات التى قرأت فى الجرائد الألمانية عن وفاة العالم برجستريس نشأ الأستاذ برجستريس فى أسرة ألمانية مسيحية بروتستانتية وكان أبوه وجده قسيسين فى مدينة بلون Plauen من أعمال زكسن Sachsen بألمانيا ، ومن هنا يسهل فهم سبب عناية والديه بترتيبه الدينية فى المدرسة الابتدائية والثانوية ، اذ أرادا أن يحققا آمانيهما حتى يكبر تقياً ويصبح صالحاً لرداء الكهوت ويكون خير خلف لخير سلف ، ولكن اجوتهلغ برجستريس مال عن هذه الرغبة إلى البحث فى اللغات السامية والعلوم الاسلامية حين دخل فى جامعة ليزيغ Leipzig فى سنة ١٩٠٤ وقد درس آداب اللغة العربية عند العالم أوجست فيشر الذى يعتبر إلى يومنا الحالى من قادة النقد لدى جبهة المستشرقين ، وقد أثرت روح النقد فى برجستريس حتى أضحت على كمر الزمن من عزماته البارزة لا فى الكتابة والقاء المحاضرات فحسب ، بل أثناء محادثاته العادية مع محدثيه كانت لاتقوته كبيرة أو صغيرة دون أن يتعرض لها اذا وجد مجالاً للمعارضة أو الانتقاد

ونذكر بهذه المناسبة ان فيشر — شيخ النقد — كان على الدوام ينتقد بكل شدة مؤلفات المستشرقين حتى هابه عظماء العلماء فى العصر الحاضر ، على ان فيشر لم يؤلف المؤلفات الكبيرة كما فعل العلماء الذين انتقد مصنفاتهم بل كان يكتفى بوضع المقالات ، وأخذ بعض العلماء بهزأون به ويقولون ان فيشر لا يحب أن ينشر كتباً خوفاً من شبح النقد وانتقام النقد ، ومن اكبر عيوب أوجست فيشر انه بدأ بدون جملة كتب فى موضوعات شتى منذ سنين كثيرة ولم ينته منها ، اذ من المعلوم انه يعمل منذ ثلاثين سنة فى

تأليف قاموس عربى علمى دقيق للشعر العربى القديم لم يطبع الى الآن ، وكذلك بدأ فى مراجعة جملة مخطوطات لكتاب المغازى للواقدي منذ امد بعيد وإلى الآن لم ينته منه أيضاً . وكان كاتب هذه السطور قد التقى بالأستاذ فيشر فى مدينة فينا فى مؤتمر المستشرقين فى سنة ١٩٣٠ فعرض عليه أن يتم مراجعة بقية الأجزاء من كتاب المغازى للواقدي ، فلما سمع فيشر اقتراحه بدا اضطراب على وجهه وسكت طويلاً كأنه لم يتمكن من أن يروح بكلمة ، ثم أجاب بعد تفكير طويل : أهملنى حتى أفكر ملياً فى هل أكمل الكتاب أم أقدمه اليك مع جميع المخطوطات والصفحات التى بدأت بمراجعتها . . . فلما قصصت حكاية المقابلة مع فيشر للأستاذ برجستريس ابتسم ابتسامته الحلوة قال : فيشر لن يرسل اليك الصفحات التى راجعها أبداً كما لن يخبر أنه عزم على أن لا يتم الكتاب . . . على أن فيشر كان قد درب فى جامعة ليزيغ تحت أشرفه عدداً لا يستهان به من العلماء حتى أصبحوا من نخول المستشرقين فيما بعد ، وكان بينهم الأستاذ جوتهلغ برجستريس .

وبعد أن أتم برجستريس دراسته الجامعية وقدم رسالة عن حروف النفى وأسماء الاستفهام فى القرآن الكريم فى سنة ١٩١١ قام برحلة إلى الأقطار الشرقية فى سنة ١٩١٣ فزار الأناضول وسورية وفلسطين ومصر وما كاد يصل إلى ألمانيا من هذه الرحلة المباركة حتى بدأت الحرب العظمى فدعى إلى ساحة القتال ، وظل متنقلاً مع الجيش الألماني فى أرض بلجيكا وفرنسا إلى أن دعتة الحكومة التركية فى سنة ١٩١٥ لالقاء محاضرات فى جامعة الأستانه ، وكان أول عهده بلقب أستاذ ، وقد بلغ حينئذ العام الثلاثين من حياته ، ولما ذاع صيته دعى لالقاء محاضرات فى جامعات ألمانيا فى العلوم الاسلامية واللغات السامية كانت أولها جامعة كونسبرج فى سنة ١٩١٩ وفى عام ١٩٢٢ انتقل إلى جامعة برسلو ومنها إلى جامعة هيدلبرج فى سنة ١٩٢٤ ثم دعى إلى مدينة ميونيخ . سنة ١٩٢٦ التى ظل يدرس بها إلى أن أدركته المنية .

تنقسم مؤلفات برجستريس إلى أربعة أنواع أصلية نوع يشتمل كتبه عن اللغة العربية وعلم اللغات السامية ، ونوع آخر يبحث فى الأرامية ولهجاتها ، ونوع ثالث يحتوى على مصنفاته ومطبوعاته فى الآداب العربية والعلوم الاسلامية ، وأما النوع الرابع فيشتمل مقالاته عن علوم اللغة التركية .

على العموم تمتاز كتابة برجستريس بدقة الجمل القليلة فى الفاظها ، الكثيرة فى معناها ، يعبر عما يجول فى خاطره بعد تفكير

طويل، وبعد احاطة بالموضوع من جميع نواحيه، والمأم شاق بجميع المراجع الكبيرة والصغيرة مع استعمال الأدلة العلمية الدقيقة، مما يجعل القارئ يحتاج الى قراءة الكتاب بأناة حتى يقف على النظريات الغريبة

ومن أهم ما دون برجستريس في حياته : كتابه عن قواعد اللغة العبرية، وما لاشك عندنا أنه أخطر كتاب في موضوعه منذ بدأ البحث في علوم الأمم الشرقية على الطريقة العلمية المألوفة عند الافرنج، وقد أظهر المؤلف في هذا المصنف أنه وقف على جميع النظريات التي الفت في هذه المادة في جميع العصور بين كتب ومقالات معروفة ومهجورة، وهذا المأم يندران يوجد بين علماء اليهود أنفسهم ومع أن كتابه هذا وضع لجمهرة الطلبة في الجامعات فإنه لم يستعمل كثيراً بين هؤلاء لأنهم لم يتمكنوا من فهمه وادراكه حق الادراك، لذلك أصبح كتاباً للأساتذة والمدرسين في المعاهد العليا كما هو شأن جميع كتب برجستريس التي انحصرت تداولها بين أيدي الذين فضجت عقولهم وتمرنوا على مطالعة الموضوعات العويصة والكتب الفنية الدقيقة

وله كتاب آخر سمي المدخل الى اللغات السامية

[Einführung in die semitischen Sprachen]
ويجب أن يلاحظ أنه بعد أن نشر مصنف نولدكه عن اللغات السامية، وكتاب بروكلمان الكبير عن الموازنة بين قواعد اللغات السامية جاء برجستريس و اضاف كتاباً جديداً في هذه المادة، وكان الناس يتوقعون أنه لا يأتي بجديد، ولكن ظهور الكتاب ازال كل اثر لتلك المخاوف، اذ جاء جديداً في أسلوبه، فياضاً في نظرياته، ثائراً على القديم، يلقي أحكامه الجديدة ويهدم قضايا مألوفة ومعروفة

وله كذلك كتاب في جغرافية اللغة في سورية وفلسطين (Sprachatlas fuer Syrien und Palaestina)
وضعه لأغراض عملية لرجال الجيش الالماني في البلدان العربية أثناء الحرب العظمى

وقد ذكرنا رحلة الأستاذ برجستريس الى البلدان الشرقية، وكان قد أقام مدة من الزمن في دمشق بحث فيها بحثاً علمياً دقيقاً عن اللهجة العامية في دمشق، كما وجه عناية شديدة الى البقية الباقية من الارهاط السريانية التي تقطن في المعلولة وهي ضاحية من ضواحي دمشق. وصنف رسالتين احدهما عن اللهجة السريانية عند اهل معلولة

والأخرى عن الروايات الخرافية الجديدة عند الأراميين على أن الأستاذ برجستريس وجه جل عنايته الى البحث في العلوم الاسلامية والعربية، وكانت با كورة مصنفاته في هذه المواد رسالته عن حنين بن اسحق ومدرسته، وما لاشك فيه أن الذين يكتبون عن الفلسفة اليونانية وأثرها في الفلسفة الاسلامية وعن حركة الترجمة والنقل من اليونانية الى العربية بواسطة السريان، يجدون في هذا السفر مادة غريبة لا يمكنهم أن يستغنوا عنها مطلقاً . . .

وله كتاب آخر وهو عظيم الخطر في العلوم الاسلامية اعنى به ما كتبه عن مصاحف القرآن الكريم. كان الأستاذ نولدكه قد الف في أواسط النصف الثاني من القرن التاسع عشر كتاباً عن تاريخ القرآن كان له الدوى العظيم والأثر البعيد في أندية العلماء في أوروبا، ولما احتاج الكتاب الى تنقيح وزيادات وكان الأستاذ نولدكه قد توغل في بحوث أخرى تناولها الأستاذ شوللي Sewally واخرج الطبعة الثانية من كتاب تاريخ القرآن الكريم مع زيادات وملاحظات كثيرة، ولم يكن الكتاب كل بعد، لذلك أتم برجستريس ما بدأ به نولدكه وشوللي فدون الجزء الثالث من تاريخ القرآن الكريم وهو كتابه عن المصاحف، وقد رأى الأستاذ برجستريس أن يبحث في قراءات القرآن وهي مادة لم يكن ليشغل فيها غيره من كبار المستشرقين، فقضى سنين طويلة يراجع بصبر وأناة كل مادون في إمامات المصنفات الاسلامية في هذه المادة من كتب مطبوعة ومخطوطة، وكانت نتيجة هذه الأبحاث الطويلة أنه طبع (١) كتاب غاية النهاية في طبقات القراء لشمس الدين أبي الخير محمد الجزري المتوفى سنة ٨٣٢ هـ (٢) كتاب شواذ القراءات لابن خالويه (٣) رسالة باللغة الالمانية عن القراءات القرآنية الشاذة في كتاب المحتسب لابن جني

Nichtkanische Kran les arten im Muhtasab des Ibn Ginni

وهو آخر مصنف وضعه الأستاذ برجستريس في حياته، وما يلفت الأنظار أن هذا الكتاب مقدم الى الدكتور طه حسين ويجب ألا يغيب عن البال أن الأستاذ برجستريس قد أثنى ما عدا اللغات السامية: الفارسية والتركية ايضاً، وقد وضع جملة مقالات عن آداب هاتين اللغتين نشرت في مجلات المستشرقين في مناسبات شتى

كان الأستاذ أنوليمان (E. Littmann) المستشرق الشهير صاحب المدونات عن الكتابات العربية قبل الاسلام، المعروفة بالخطوط الثمودية واللحيانية والصفوية (راجع كتاب تاريخ اللغات السامية لكاتب هذه السطور ص ١٧٥-١٨٨) بعد أن ألقى محاضرات

في الجامعة المصرية في السنة الدراسية ١٩٣٨ - ١٩٣٩ ولم يستطع الرجوع الى الجامعة بعد ذلك الحين أشار على الهيئات الرسمية بالجامعة المصرية بان يدعو الأستاذ برجستريسر لالقاء محاضرات في الجامعة المصرية وقد قوبل الاقتراح ولبي الأستاذ برجستريسر دعوة الجامعة وحضر الى القطر المصري وكان محبب برجستريسر حادثاً خطيراً في حياة الجامعة المصرية اذ كان الاساتذة والمدرسون يقبلون عليه ويحضر مع الطلاب محاضراته النفيسة ، وكان يلقي في ذلك العام (١٩٣٠) محاضرات عن التطور النحوي للغة العربية . وكان في محاضراته الأولى كثير العجمة والابهام في لغته العربية، وكان يقرأ المحاضرة من الورقة المكتوبة التي كانت أمامه، ثم أخذ بعد جملة أساميع يتحرر شيئاً فشيئاً من الكراس، وأخذ يرتجل الجمل ارتجالاً ويفصح في الكلام افصاحاً، ثم رجع في سنة ١٩٣٣ الى مصر والقى محاضراته عن اللهجات العامية في الموصل . كان يفيض كالبحر الزاخر بلغة عربية فصيحة كانت مفهومة واضحة لجمهرة الطلبة

ويجب ان يقال بكل صراحة إن عدد الحاضرين عند برجستريسر كان في بادى الأمر كبيراً، ثم أخذ ينقص على كثر الزمان الى ان انحصر الحاضرون في طلبة قسم اللغات السامية فقط ، والسبب في ذلك يرجع الى أن محاضرات برجستريسر كانت فنية قبل كل شيء. أى إن الذين لم يدرسوا اللغات السامية لم يفهموا كثيراً ما كان يلقي الأستاذ، وفوق ذلك فان عقلية برجستريسر كانت دقيقة وعميقة وكانت محاضراته موجهة الى أصحاب الثقافة الراقية قبل كل شيء.

لم يكن برجستريسر أكبر الاساتذة سناً، ولكنه كان أعلاهم مقاماً وأعزهم علماً وكانوا يوجهون اليه الأسئلة حتى يقفوا على آرائه في كثير من الموضوعات ومن هنا ادخل برجستريسر في هيئة التحرير في المجلة العلمية الشهيرة في ادبيات المستشرقين وكان Orientalistische Literaturzeitung مدة من الزمن رئيس التحرير في المجلة الألمانية للعلوم السامية

Philologie und Linguistik
Beiträge zur sem.

كان الأستاذ برجستريسر يسرف في اجتهاد نفسه حتى أضناه العمل لانه كان فوق البحث والفحص لتنظيم محاضراته لطلبة الجامعة المصرية ، مضى ثلاثة أيام كاملة من الصباح الى الغروب في المكتبة الملكية يجلس الى مائدة في غرفة منفردة ويراجع مخطوطات في قراءات القرآن، ثم اضطر الى ملازمة الفراش، فعنفه الاطباء على اجتهاده المفرط الذي ينذر بالخطر وأشاروا عليه بترك العمل في المطالعة والتأليف ولكنه لم يحفل بهم

وكان برجستريسر يحب الجبال ، والرياضة في الجبال، ينزه أساميع كاملة على خلوة بنفسه ، وفي اليوم الثاني عشر من شهر اغسطس المنصرم صعد جبل جلوكرز الشامخ فحدثت الفجيرة العظمى اذ زلت قدماء من ذروة الجبل الشاهق وسقط الى هاوية فتوفي على الاثر

وكان قد بلغ الثامنة والاربعين من عمره حين قضى نحبه؟

مصنع الدوبار والاحبال

يورد للقطر المصري حاجاته

من دوبار وأحبال صنعت من كتان مصرى زرع في أرض مصرية
غزل بأيدي عمال مصريين على ما كينات ميكانيكية حديثة
بأسعار لا تزاخم مطلقاً

أطلبوا أسعار الجملة والقطاعي

شركة مصر لغزل ونسج القطن

بالمحلة الكبرى

هذه هي خطوة جديدة تخطوها شركتنا فسيروا معنا - تتقدم بكم دائماً الى الامام

في الأدب العربي

ابن خلدون ومكيافيلي (١)

للأستاذ محمد عبد الله عنان

من الزعماء والمتغلبين . وقد اتصل مكيافيلي بهذه الدول ، وقضى عصرا في خدمة احداها وهي وطنه فلورنسا (فيرنزا) وانتدب لمهام سياسية مختلفة ؛ واستطاع ان يدرس عن كثب كثيرا من الحوادث والتطورات السياسية التي تعاقبت في عصره ، وان يجعل من هذا الدرس مادة لتأملاته عن الدولة والأمير ، كما جعل ابن خلدون من الحوادث التي عاصرها واشترك فيها مادة لدرسه وتأملاته على أن المفكر المسلم أغزر مادة وأوسع آفاقا من المفكر الايطالي . ذلك أن ابن خلدون يتخذ من المجتمع كله وما يعرض فيه من الظواهر مادة لدرسه ، ويحاول أن يفهم هذه الظواهر وان يعالجها على ضوء التاريخ ، وان يرتب على سيرها وتفاعلها قوانين اجتماعية عامة . ولكن مكيافيلي يدرس الدولة فقط ، أو يدرس أنواعا معينة من الدول ، هي التي يعرضها التاريخ اليوناني والرومان القديم ، وتاريخ ايطاليا في عصره ، ويدرس شخصية الأمير أو المتغلب الذي يحكم الدولة ، وما يلحق به من الخلال الحسنة أو السيئة ، وما يعرض لها من وسائل الحكم . وهذه الدراسة المحدودة المدى تكون جزءا صغيرا فقط من دراسة ابن خلدون الشاسعة ، هو الفصل الثالث من الكتاب الأول من المقدمة ، وهو الذي يدرس فيه احوال الدول العامة والملك والمراتب السلطانية . وحتى في هذا المدى المحدود يتفوق ابن خلدون على مكيافيلي تفوقا عظيما . ويتبدع هنا نظرية العصبية ، ونظرية اعمار الدول ، ويتناول خواص الدولة من الناحية الاجتماعية وان كان مكيافيلي من جهة أخرى يتفوق على ابن خلدون في سلاسة المنطق ، ودقة العرض والتدليل ، ورواء الاسلوب .

كتب مكيافيلي كتابه « الأمير » سنة ١٥١٣ واهداه الى لورنزو دي مديتشى « الافخم » أمير فلورنسا ، وهو يشير الى غرضه من وضع كتابه في قوله للأمير في خطاب الاهداء : « ومع انى اعتبر هذا المؤلف غير خليق بمطالعة حياك ، فاني اعتمد جل الاعتماد على عطفك ورقفتك في قبوله ، فلست استطيع في اهدائك خيرا من أن اقدم اليك فرصة لتفهم في اقصر الاوقات كل ما عرفته خلال أعوام طويله ، وفي غمار من المتاعب والاختار » وفي قوله : « فتناول ياذا الفخامة هذه الهدية الصغيرة بنفس الروح الذي

بعد وفاة ابن خلدون بأكثر من قرن ، وضع نيكولو مكيافيلي المؤرخ والسياسي الايطالي (٢) كتابا يتبوأ في التفكير الغربي مكانة كذلك التي تتبوأها مقدمة ابن خلدون في التفكير الاسلامي . ذلك هو كتاب « الأمير » Il principe ، وهو كأثر ابن خلدون قطعة بديعة من التفكير السياسي والاجتماعي . تمتاز بكثير من القوة والطرافة والابتكار الفائق . واذا لم يك بين الاثرين كثير من أوجه الشبه المادى ، فان بينهما كثيرا من أوجه الشبه المعنوى ، وبين الذهنيين بالأخص مشابهة قوية من حيث الظروف والبيئة التي تكون كل فيها ، ومن حيث فهمه للتاريخ والظواهر الاجتماعية ، ومن حيث قوة العرض والاستدلال بشواهد التاريخ .

ونستطيع أن نرجع كثيرا من أسباب هذه المشابهة بين المفكرين العظيمين الى تماثل عجيب في العصر والظروف السياسية والاجتماعية التي عاش كل منهما فيها . فقد كانت الامارات والجمهوريات الايطالية التي عاش مكيافيلي في ظلها تعرض في ايطاليا نفس الصور والامواضع السياسية التي تعرضها الممالك المغربية ايام ابن خلدون ، من حيث اضطرام المنافسات والخصومات فيما بينها ، وطموح كل منها الى افتتاح الاخرى ، وتقلب اماراتها ورياساتها بين عصبه

(١) من كتابه ذكرى ابن خلدون وسيصدر قريبا

(٢) نيكولو مكيافيلي Nicolo Machiavelli كاتب ومؤرخ وسياسي ايطالي كبير . ولد سنة ١٤٦٩ بمدينة فلورنسا وتوفي بياسنة ١٥٢٧ واشتغل حينا سكرتيرا للسياسة الخارجية في حكومة فلورنسا . وكلف بمهام سياسية في ايطاليا وفرنسا والمانيا ، ولما عاد آل مديتشى للحكم فلورنسا سنة ١٥١٢ ، قبض عليه بتهمة التآمر وعذب ثم افرج عنه بوساطة البابا ليون العاشر . وعندئذ اعتزل الحياة العامة وكتب عدة مؤلفات شهيرة منها كتابه « الأمير » وتاريخ فلورنسا . ومقالات عن لىبى المؤرخ الرومانى ، وعدة رسائل سياسية وفتح مسرحية

أرسلها به، وإنك إذا قرأته بامعان وتأمل، فسوف تعرف خالص رغبتي في أن تظهر بهذه العظمة التي يبغي بها حسن الطالع وتمنى بها خلاصك» (١) واذن فقد أراد مكيا فيللي أن يقدم بكتابه «الأمير» مرشدا لامراء عصره يرشداهم الى امثل طرق الحكم، وامثل الوسائل لسيادة الشعوب التي يحكمونها. ومكيا فيللي يستمد آراءه ونظرياته من حوادث التاريخ القديم، وبالخاص من حوادث عصره التي شهداها وخبرها، ويرتب عليها احكاما وقواعد عامة، كما يرتب ابن خلدون مثل هذه الاحكام والقواعد على دراسته للمجتمع. ويبسط مكيا فيللي دراسته في بحوث موجزة ويبدأ بالحديث عن أنواع الامارات، ووسائل اكتسابها، وعن الوسائل التي تحكم بها المدن او الامارات التي كانت تعيش في ظل قوانينها قبل أن تغلب، وعن الامارات التي تقوم بالفتح وكفايات الامير الشخصية، وعن تلك التي تغنم على يد آخرين او بطريق الحظ، او تلك التي تغنم بالغدر والحيانة، وعن الامارات المدنية والدينية، وعن انواع الجيوش والجنود المرتزقة، وما يجب ان يعرفه الامير عن فن الحرب. ثم يتناول بعد ذلك شخصية الامير، وما يحمد فيه من الخلال وما يذم، وعن الكرم والشج، والرافة والقسوة وعن الطريقة التي يجب ان يحفظ بها الامراء وعودهم، وعما يجب عليهم لتجنب بغض الشعب واحتقاره، وما يجب عليهم لاكتساب الشهرة، والمجد، وأخيرا يتحدث عن حجاب الامير «سكرتارية» وعن وجوب تجنب الملق، وعن الاسباب التي فقد بها أمراء ايطاليا دولهم، وعما يمكن أن يؤديه حسن الطالع في سير الشؤون البشرية، ثم يختتم بالحث على تحرير ايطاليا من نير الاجانب أو غزوات البرابرة كما يسميهم.

تلك هي المباحث التي جعلها مكيا فيللي قوام فلسفته عن الدولة والامير، ويبدو بالاختصاص مما كتبه عن «الامير» انه يعالج موضوعا عاجله المفكرون المسلمون قبل ابن خلدون بعصور طويلة، هو موضوع «السياسة الملكية» وهو موضوع يجري منذ القرن الثالث الهجري في التفكير الاسلامي مع بحث أو علم خاص هو علم السياسة على نحو ما بينا في فصل سابق. وقد رأينا مما تقدم أن «السياسة» كانت تفهم عند العرب في العصور الاولى بمعنى ضيق جدا هو شرح الخلال الحسنة التي يجب أن يتصف بها الامير، والعيوب التي يجب أن يبرأ منها لكي يصلح لرئاسة الدولة وتبوء الملك؛ ولكي يستطيع الحكم بأهلية وكفاية. ثم توسع المفكرون المسلمون في فهم معنى «السياسة» وقسموها الى عدة أنواع، وتناولوا

(١) كتاب الامير The Prince - الترجمة الانجليزية طبعة افرمان ص ٢ و ٣

«السياسة الملكية» من الناحية الفقهية وكذا من الناحية الادارية وبحوثا مركزا الامير من الناحية الشرعية وتحدثوا عن الخطط السلطانية. وظاهر ما تناولوه المفكر الايطالي من خواص الامير وخلالها وواجباته هو ضرب ما تناولوه المفكرون المسلمون منذ أواخر القرن الثالث الهجري. من ذلك ما كتبه ابن قتيبة في كتاب «عيون الاخبار» والماوردي في كتاب «الاحكام السلطانية» والطرطوشي في كتاب «سراج الملوك» والغزالي في كتاب «النبر المسبوك»، ثم ابن الطقطقي في كتاب «الآداب السلطانية». وهو موضوع تناولوه ابن خلدون فيما تناوله من أحوال الدول العامة والملك، اذ يتحدث هنا عن حقيقة الملك وأصنافه، وعن معنى الخلافة والامامة، وعن مختلف المذاهب والآراء في حكم الامامة ثم عن الخطط السلطانية (١)، وحديثه في ذلك يمتاز عن حديث اسلافه بما يتخلل بحته وتدليله من الملاحظات والتأملات الاجتماعية التي لم يوفق اليها باحث قبله.

على أن مكيا فيللي يمتاز في بحثه بروح عملية جافة. وبينما يتحدث المفكرون المسلمون عن الامير أو الحاكم كما يجب أن يكون، وعن خلاله المثلى كما يجب أن تكون، اذا بالمفكر الايطالي ينظر الى الامير الأمثل نظرة عملية محضة. فيصفه كما هو في الواقع، ويتصور خلاله المثلى فيما هو حادث بالفعل، ويرتب تدليله ونتائجه على ما احرز الامير وأحرزت خلاله من النجاح أو الفشل دون تأثر بما اذا كانت هذه الصور والخلال تتفق مع مبادئ الاخلاق المثلى كما فهمت خلال العصور. ومن هنا تستمد فلسفة مكيا فيللي لونها القاتم، وتوصم آراؤه ونظرياته السياسية بتلك الصرامة والقسوة والحبث التي جعلتها حتى عصرنا مضرب الامثال للسياسة الغادرة التي لا ضمير لها ولا وازع، والتي جردت من كل نزاهة وعفة، وتغاضت عن كل المثل الانسانية والاخلاقية. والى القارىء بعض نماذج من تلك الآراء التي طبعت فلسفة مكيا فيللي، وأميره الامثل بذلك الطابع الاسود:

(١) راجع المقدمة ص ١٥٦ و ١٥٨ الى نهاية الباب

يصدر قريبا

ذكرى ابن خلدون

عرض نقدي لحياته

وترائه الفكرى والاجتماعى

ومكانة تفكيره من النقد الحديث

بقلم

الاستاذ محمد عبدالله عنان

آثار شوقية

— ٣ —

منظر من رواية الست هدى (١)

السيدة هدى وجارتها زينب تتحدثان في إحدى حجرات منزل السيدة هدى المطل على مسجد أبي الليف بجى السيدة زينب، وقد أخذت السيدة هدى تقص على صديقتها حياتها مع أزواجها التسعة إلى أن قالت عن آخر زوج لازل معها:

الست هدى:

ثم اقترنتُ بمحامٍ عاطلٍ شَرَّيبٍ خمرٍ يَحْتَسِمُ في الضحى قَلَّتْ دعاويه وقل ماله وأصبح المكتب منه قد خلا و عبد المنعم المحامى زوج الست هدى وهو سكران يصعد السلم

عبد المنعم « منادياً: »

هدى! ضلال! أين أنت يا هدى؟ أين العجوز؟ أين جدتي هدى وانكدا زينب! واداهيتا! أتى ولا أعرف من أين أتى يشتم في السلم:

زينب! خليه دعى لا تفرضيه غير سكران هدى رأيته

الست: وكيف؟

زينب: من تحت وقد كانت الحارة منا امتلاأت فأرسل القبيء علينا ورمى

الست: القبيء! ماذا قلت؟

زينب: قلتُ ما رأيت عيني وما مرَّ على رأسي وما... عبد المنعم وهو بالسلم:

هدى! عجوز النحس، أنتِ قردةٌ خطوطك الوحل وكلحك العمى سمعتِ يا زينب؟

خليه دعى لا تفرضيه غير سكران هدى

زينب:

ومرة جاء أبا الليف ضحى أذن في الناس يصلون العشا فضيحةٌ في الخط

الست: وافضيحنا!

ما شهدوا في الحنفى مثلاً

عبد المنعم ولا يزال بالسلم:

هدى تعالى يا عتيقةً اظهري عندى لك النعل وهذه العصا الست: سمعتِ يا زينب

زينب: خليه دعى لا تفرضيه غير سكران هدى

الست: دعيه يهدى ما يشا غداً ترين، زينب

فنى غد لى وله شأن، غدا يؤدب

زينب: وما الذى عزمت يا حبيبتى أن تصنعى

الست: أقذفُ في القسم به وأشتكى وادعى

ان رجال القسم والنائب والقاضى معى

الست لزوجها: لتسدمن يا لكعف يا من يقوم ويقع

عبد المنعم وقد سمع صوتها:

ماذا سمعت؟ صوتها! أنت بومتي هنا؟

الآن يا حميرة الأخطأريك من أنا

زينب: هدى حبيبتى اسمعى تعالى اهزلى معى

الست: أنا؟

زينب: اسمعى دعيه

الست: لا

زينب: دعيه يا هدى دعى

زينب: لا تغضبيه إنه يمتلى ليس يعى

عبد المنعم:

هدى! هدى! أين هدى؟ أين العجوز البالية

خداك ضفدعان قد أسنتا وأذناك عقربان من قينا

وحاجباك والخطوط فيهما كدودتين اكتظنا من الدما

وبين عينيك نفارٌ وجفا عينٌ هناك خاصمت عينا هنا

الست:

دعيني أقطع عليه الحذاء وأجز الوقاح على ذنبه

دعيني أضربه حتى يفنى فلا بد زينب من ضربه

فتنة الحسن

للشاعر الوجداني أحمد رامى

نازعتنى الى اجتلاء الجمال فتنة الحسن فى بديع المثال
غرة كالصباح رفت عليها طرة فى سواد جنح الليالى
وعيون تشع بالأمل العذ بولقى سحر الهوى والدلال
وفم تبسم الملاحاة فيه ببريق اللبى وظلم اللالى
وقوام مهفف القد ممشو قتهادى فى رفق خطو الغزال
طالعتنى وكنت أخلص منها خطرة الطيف فى سنوح الخيال
ثم مرت كما يمر نسيم ال روض عبر الغديرين الظلال
وقضى الله أن أراها وأروى ناظرى من بهاء تلك المجالى
وسمت الحديث من فيها المقتر عن بسمه الندى فى الدوالى
فاذا خفة القطاة اذا اختا لت على الماء ساعة الآصال
وأذا رقة النسيم اذا بث شكاة المهجور عند الوصال
رامى

زينب : قد جاء .. هيّا تنقى جنونه وهوّسه
ففى يمينه العصا وفى الشمال المكنسه
الست : سكران يُضرب إذن لنهرب هلم زينب
هذه حجرة نومى اسرعى زينب فيها
نحن يا زينب لانسكح مع سكران سفيا
« تدخلان الحجرة وتستتران وراء الباب وعبد المنعم
يدخل مترنحا »

— ٤ —

فى الاندلس

أبيات مبعثرة نظمها أمير الشعراء فى الاندلس

.. ويوم من صبا آذار حلو فقدناه وما بلغ الشباب
تصور من حلى النبروز وجهاً وجمع من زخارفه إهابا
فراق صباحه صحوأ وزهوأ ولذّ ضحاه حاشية وطابا
تناثر فى البطاح حلى وأوفى على الآفاق فانتظم الهضابا
وسالت شمس فى البحر تبرأ على مثل الزمرد حين ذابا
كأن نسيمه نفس العذارى طعمن الشهد أو ذقن الخبابا
تمناه ابن عبّاد صبوأ اذا حثّ المزاهر والشرابا
وما قدّرت أن سيجنّ ظهراً ولم تكن القيامة لى حسابا
تشعث لمة واغير وجهاً ودلى مشفراً واقترّ نابا
وبدل حسن ذاك السميت قبها وأصناف النعيم به عذابا
وضج البحر حتى خيل موسى اتى بعصاه أو فرعون آبا
وأبرق فى العباب كأن سراً بأسطول الجزيرة قد أهابا
كأن شعاعها فى الثلج ناراً لفارس حولها ضربوا القبابا
أو الحسناء يوم العرس جنت فزقت الغلائل والنقابا
فمن سحر السماء فأمطرتنا فكان الدر والذهب الذهابا
تروق العين من بيضاء حال كما ترّبت بالتبر العكتابا
منادف عسجد ظفرت بقطن فما تألوه ندفاً واتهابا
وقطعت الثلوج لكل روض وكل خيلة منها ثيابا
فمن صور مجلّة فراء وولدان مسربة جبابا

الصحة والقوة

وجسم عجيب وعقل مجيئ للنجاح

النخلة. السمة. تصدق لقامة. العادة السرية. الاصلح
الضفد لتألى. الإسكان. ضعف المعدة. القلب. الصبر
الأعصاب. تفرس لأرمل. الخجل. ضعف الذكرة والزيادة
قد لا تقضى النفس وكل الأمراض المزمنة والعيوب الجسمية والعقلية
يمكن علاجها فى المنزل بدون جاسوسيا كيند تمرينات خاصة .

كل شيء مشرح فى

كتاب الجسم الكامل وكتاب العقل الكامل

١٠٠ صفحة بمائة نقطة ١٠ ملين طرايع برسته للبريد
(قسّمه مجاوب فى الخارج) عتيد لكنا بالذى طلبه واكتب باسم

محمد فائق الجوهري

مدير معهد التربية البدنية والعقلية
١١ شارع سنجو السردى فاروق مصر

تليفون ٥٠٣٥٩

الأصل والمثال

عجا أحق ما أحس وما أرى أفهذه أنت انبعثت من الثرى ؟
هل يرجع الموتى الى الدنيا ولم ينفخ لهم في الصور أو يفن الورى ؟
أم صح زعم القوم أن زماننا دور تسلسل في العصور مكررا ؟
وحياتنا فيه مواسم ثابتة لا تخفى حتى تعود فنظفها
لكن ، أدار بك الزمان فريدة وسها عن الماضين قبلك وازدرى ؟
أم قوة الأحياء بين قلوبنا أحيك ، أم هذا خيالك في الكرى ؟
لا ، لا ، فليس يعود من قد ضمه قبر ولست بحالم فيما أرى
ولو ان احياء يعيدك بيتنا لاسطاع دفع الموت عنك وأخرا
أفلم تكون مهبط الأحياء من ألبابنا والموضع المتخيرا ؟
ما هذه الا شبيبتك استوى فيها كيالك يوم طاب وأزهرا
طرات على كطائر متغرب لم أدر من أى النواحي قد سرى
أفتنة أخرى ولما استعد أنى وقد مال الصبا وتحذرا ؟
إن كنت أنت اليوم أنت فأنى غيرى تداولنى الزمان فغيرا
واعترضت من مرح الصبا وهوبه حذرا وتمحيصا إذا أمر عرا
من ذا الذى دفع الفتاة لموضعى لأراك فيها غنوة وتجبرا ؟
وأرى عهودك حلوها ومريرها بينا المرير بين كان الأكلرا
هل ضاق وجه الأرض حتى لم تجد من أشبهتك سوى طريقى معبرا ؟
كم من فراسخ بين قطبيها وكم يسدا توارى المشبهات وأبحرا ؟
ولم انتحنتى بالرنو ولم أكن أعلى الشهود صوى وأروع مظهرا ؟
أفليس فى هذا دليل تعمد لولائمك كنت أنت المصدرا ؟
ومن الذى يدري ؟ قرب ارادة للبيت فينا دون أن نستشعرا !!
ولعلنا يوماً سنسمع فى الثرى صوتا ونفهم منه معنى آخر !!
والآن يا وجهارأيت بضوئه آفاق ماض بالظلام تسترا
كن بعض ذا الماضى البعيد ووقى ضوءا يضر بمقلتى فقطرا
محمود عماد

الورقاء

ونائحة من بنات الهديل تبث الى الروض أحزانها
عراها من الدهر غلب الخطوب فهبت تودع بسستانها
وفى الصدر من وجدها حسرة تكاد تفتت جثمانها
وعز عليها فراق الغصون وما يملك القلب هجرانها
فقيها مغارس عهد الصبا سقتها الغمام هتانها

وفى سرير الهوى ما يزال يحن فيرجع الحانها
فأذرت مدامعها الغاليات وقد خضب الدمع أجفانها
وأهوت على النهر تخفى الدموع وتودع جنبيه ثخانها

مواجه تقرأها فى الضلوع وتلمح فى العين عنوانها
أطافت بها زمر القاصين وأفقدتها الدهر أعوانها
فضمت الى صدرها أفرخا آثار التفرق إرثانها
وراحت قوم فسيح الغياض وتبكي مدى العمر أوطانها
دمشق أنور العطار

دمر! ... (١)

دمر ماؤها على الدر يهوى كمرأيا تكسرت من لجين
سكر الصاحب بالمدام وأنى نلت بالماء والهوا سكرتين
فحفيف الغصون شاب خيرى الماء لحنا فالقا جوقتين
جلست حول نهر دمر غيد صرن والدوح حوله جنتين
بردى ما رأيت قبلك نهرا ينبت الغانيات فى الشاطئين
ليس عينى لى بكافيتين فوق عيني أبتغى الف عين
عن يمينى وعن شمالى وخلفى كل حوراء بضة الساعدين
صرت من دهشتى ادير برأسى أتوخي بنظرة نظرتين
دمشق أحمد الصافي النجفي

(١) جنة من جنات الشام لدى مدخل دمشق

التحضير للشهادات

فى المنزل

يمكنك أن تحصل على البكالوريا أو الكفاءة أو الابتدائية ، وأن تدرس أى لغة أو تخصص فى الصحافة أو تأليف الروايات أو الرسم فى منزلك ، رسوم التعليم فى غاية المبالغة ومستقبل راق مضمون .
أطلب مجانا كتاب طريق النجاح وكتاب كيف تكون كاتباً . فقط ١٠ مليات طوابع تكاليف البريد (قسيمة مجاوبة فى الخارج)
أكتب الى مدارس المواصلات المصرية ١١ شارع سنجر السرورى فاروق مصر تليفون ٥٠٣٥٩



اكتشاف الكوكب السيار التاسع

(بلوتو)

للاستاذ عبد الحميد محمود سماحه

ليس من النجوم ولسكنه من الكواكب السيارة ، فأتم الفلكيون
ابحاثهم عنه وحسبوا مداره وحركته في السماء واسموه
(أرانوس) غير أنهم بعد قليل من الزمن لاحظوا أن مواقع
أرانوس في السماء تختلف اختلافا طفيفا مع ما توقعوه
بالحساب على أساس نظرية الجاذبية

ومع أن هذا الاختلاف لم يزد في أية حالة على دقيقتين
قوسيتين إلا أنهم لم يستطيعوا أن يغمضوا أعينهم عليه ، وكان
لا بد لتبرير وجوده من أحد أمرين لا ثالث لهما ثم يوتى
بالبرهان العملي عليه

الأول — أن يكون قانون الجاذبية العام الذي اكتشفه
نيوتن والذي حسبت بمقتضاه مواقع أرانوس المستقبلية في
السماء قانونا غير طبيعي أو بعبارة أخرى غير صحيح
الثاني — أن يكون هناك جسم مادي غير معروف لنا
يؤثر في حركة أرانوس بالجاذبية وهو مما لم يعمل حسابه
عند حساب مواقع أرانوس المستقبلية

ومن غرائب المصادفات أن يفترض اثنان من نوابغ الرياضيين
وهما جون آدمز الانجليزي ، ولا فرييه الفرنسي ، مستقلا أحدهما
عن الآخر ، الأمر الثاني وأن يحسبا بمقتضى هذا الفرض
مواقع هذا الجرم الغير معروف ، ثم يتقدم في وقت واحد تقريبا
(أواخر ١٨٤٥) الأول الى الأستاذ (تسالز) مدير مرصد
كمبردج والثاني الى الأكاديمية الفرنسية بنتيجة بحثهما النظري .
وفي رأي أن العلوم الرياضية أو بالأحرى قانون الجاذبية
العام لم يسجل في تاريخ البشرية فوزا مثل هذا الفوز عندما
أيدت الارصاد الفلكية وجود هذا الجرم السماوي بالفعل ،
وفي نفس الموقع الذي أشار اليه كل من آدمز ولا فرييه فقد
رآه جال (Galle) الفلكي المساعد بمرصد برلين في مساء ٢٣
سبتمبر ومن بعده بخمسة أيام الاستاذ تسالز بمرصد كمبردج

تدل كلمة (كوكب سيار) في العربية كما تدل في الأصل
اليوناني Planet على صفة نوع خاص من الأجرام السماوية
يتحرك في السماء وسط النجوم (الثابتة)

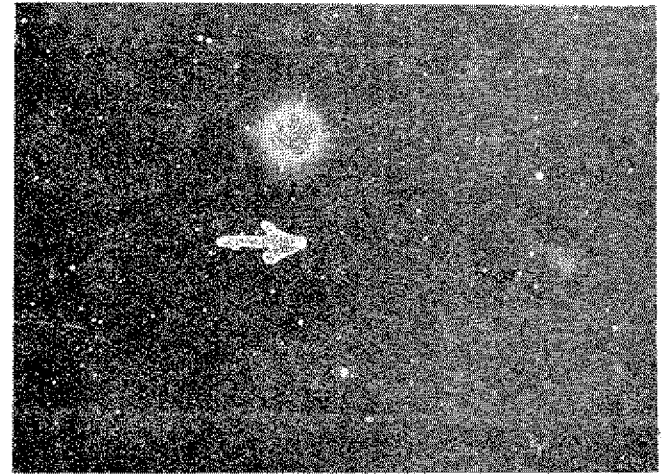
وقد عرف المتقدمون من الكواكب السيارة عطارد
والزهرة والمريخ والمشتري وزحل وتوهموا طويلا أن
الشمس والقمر كليهما من الكواكب السيارة لتشابه حركتهما
الظاهرية ، فكان المجموع سبعة ، وهو (العدد التام) الذي كان
له شأن كبير في فلسفة فيثاغورس الرياضية

ويلاحظ أن اشتقاق أسماء أيام الأسبوع من أسماء الكواكب
السيارة ، فشلا في الانجليزية Sunday معناه يوم الشمس
و Monday يوم القمر ، و Saturday يوم زحل ، وما يشابه
ذلك في اللغة الفرنسية

ولما توطدت دعائم نظرية (كبرنكس) عن مركزية الكون
(وقد سبق ان تكلمنا عنها هنا في الرسالة) وتمكن السيرا سحاق
نيوتن من تفسير حركة الكواكب السيارة على أساس نظرية
الجاذبية المشهورة ، تغير وجه المسألة ، إذ ثبت أن الشمس ماهي
الامركز المجموعة الشمسية ، وأن الأرض أحد الكواكب
السيارة التي تدور جميعها حول الشمس في مدارات دائرية تقريبا
والى ما قبل سنة ١٧٨١ لم يكن معروفا من الكواكب السيارة
سوى هذه الستة السالفة الذكر بما فيها الأرض ، وفي مساء
١٣ مارس من هذه السنة رأى السير وليم هرشل أثناء رصده لبعض
النجوم جسما يختلف في شكله عنها ، وسرعان ما تحقق أنه

وسمى الكوكب السيارة الجديد (نبتون)

كان من الطبيعي بعدمعرفة مدار نبتون وحركته أن ترأى مواقعه فى السماء ليرى هل هى تحقق المستنتج نظريا فيكون هو آخر الكواكب السيارة، أو هى لا تحققه فيقتضى البحث عن السبب. وإذا وجد أن هناك اختلافا مثل الذى وجد فى حالة أورانوس، اعتقد الأستاذ لويل بمرصدا فلجستاف أنه لا بد أن يكون هناك كوكب سيار تاسع يؤثر فى حركة نبتون وفى سنة ١٩١٤ أتم الأستاذ لويل بحثه النظرى وحسب مواقع هذا الكوكب السيارة الموهوم فى أزمنة مستقبلية عديدة، غير أنه مات قبل اكتشاف هذا العالم الجديد، فأتم فلكنيو فلجستاف هذا البحث، وأخذوا صورا متعددة فى ليال متعاقبة لتلك المنطقة من السماء التى توهموا وجود الكوكب الجديد فيها، ثم اشتركت مرصد العالم المهمة فى هذا البحث حتى تحقق وجوده، وأعلن اكتشافه فى ١٢ مارس سنة ١٩٣٠ وسمى (بلوتو) لأن (بلوتو) فى القصة اليونانية هو أخ كل من المشتري ونبتون وابن زحل

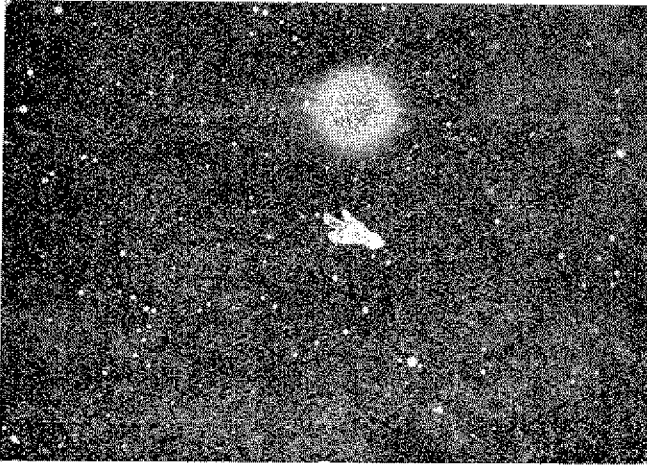


أخذ هذه الصورة بمرصدا حلوان فى ١٩ مارس سنة ١٩٣٠ الدكتور مدور

وهذا الاكتشاف هو آخر الاكتشافات الفلكية الحديثة. وربما كان أهم الاكتشافات العلمية فى القرن العشرين ولا يقلل من قيمة اكتشافه أن الطريقة التى اتبعت فيه من الوجهة الرياضية هى عينها التى اتبعت فى اكتشاف نبتون ولا سيما أن معرفته من بين النجوم العديدة على الألواح الفوتوغرافية كانت من أشق الأمور حقيقة نظراً لصغر حجمه، وكفى للدلالة على ذلك أن نذكر أن أصغر النجوم التى ترى بالعين المجردة ألمع من بلوتو بمقدار ألف وستمائة مرة

ويبعد بلوتو من الشمس بما يزيد على ثلاثة آلاف وخمسمائة مليون ميل، ويتم دورته حولها فى ٢٥٠ سنة تقريبا، وقد حسب بعض الفلكيين درجة الحرارة على سطحه فوجدت حوالى مائتين تحت الصفر المئوى، ولم يعرف الى الآن حجمه بالضبط، ولكن من المحقق أنه من أصغر الكواكب السيارة، وأن حجمه يقرب من حجم عطارد

ويرى بلوتو فى الصورة الى جانب النجمة الكبيرة رال التوأمين التى هى من القدر الرابع، وبمقارنة الصورتين نجد أن



أخذ هذه الصورة بمرصدا حلوان فى ٢٤ مارس سنة ١٩٣٠ الدكتور مدور

بلوتو وهو المشار اليه بالسهم قد تحرك بين النجوم (الثابتة) فى ما بين ١٩ و ٢٤ مارس ١٩٣٠ وهكذا تمكنا من معرفته من بين النجوم العديدة الأخرى ولا نستطيع أن نقطع من الآن برأى فيما إذا كان (بلوتو) هو آخر الكواكب السيارة أو أن هناك ما هو أبعد منه، غير أن الزمن كفيل بأن يقطع فى هذه المسألة مرة أخرى

شارع المداين
أمام جريدة
الأهرام

مكتبة النهضة المصرية

لصاحبها حسن محمد

أول مكتبة أجنبية يملكها مصرى

تبيع بسعر الخارج

كتب الطب والجامعة المصرية والمدارس العليا والثانوية

وبها أكبر مجموعة من الروايات والمجلات والجرائد الأفرنجية

والمطبوعات العربية الحديثة

تليفون رقم
٥١٣٩٤

مواطن الحياة الاولى

للأستاذ السر آرثر طمس

ترجمة بشير الياس اللوس

(١) المواطن الساحلية

في وسعنا أن ننظر الى عملية التطور السامية من ناحية جديدة ، فقد سهلت للحيوان أن يخضع لسيطرته جميع الاماكن الملائمة للحياة ، ويجعل المحيط غادما لمصلحته ومصلحة نوعه .
يظن أن العضويات الحية استوطنت السواحل البحرية أولا لما في تلك المناطق من ظروف ملائمة للحياة ، فهي قليلة الغور غنية بالنور والهواء والغذاء ولا سيما ان الاعشاب البحرية النامية في تلك الاماكن تجزئ المواد الغذائية بمقياس واسع . ان هذه المناطق مأهولة في الوقت الحاضر بممثل جميع اصناف الحيوانات تقريبا من النقايات (infusorians) الى الطيور الساحلية واللبائن .

(٢) المواطن البحرية

ان المواطن البحري يشمل جميع سطوح المياه الغنية بالنور عدا المناطق الساحلية القليلة . ويظن أن الحيوانات استوطنت هذه الاماكن لتجانسها ووفرة ما فيها من خزيات مجهرية (Algae) تصلح طعاما لها . ان هذه النباتات المجهرية تستمكن في أجسام حيوانات دقيقة كالتفريات البحرية (Open - sea crustaceans) التي تعتاش عليها الاسماك ، وهذه بدورها تصبح طعاما للسلاحف المفترسة والحيتان ذوات الاسنان . وبهذا الاعتبار يظن أن البحر المكشوف كان الموطن الاصل للحياة . وقد يكون الأستاذ (شرش Church) على صواب في تصوره أن الحياة البحرية تقدمت على الحياة الساحلية .

(٣) أعماق البحار

يظن أن قعر البحار العميقة كان موطننا ثالثا للحياة ؛ ففي ذلك المحيط البارد وفي ذلك الشتاء الدائم والظلام الدامس الذي لا يضيء فيه غير بريق الحيوانات الفسفورية الضئيل ، وتحث ذلك الضغط الهائل — طنان ونصف طن على البوصة المربعة الواحد في عمق ١٥٠٠٠ قدم — وبين ذلك السكون العميق وفي تلك الوحدة الرهيبة ؛ أجل في تلك الظروف كانت الحياة تقضي شطرا من أدوارها . وربما جرى استعمار هذه اللجج العظيمة الغور في عصور حديثة العهد نسبة ؛ لان الحيوانات التي نعتز عليها في هذه الاماكن

لا تشمل اصنافا قديمة جدا ؛ ويرجح أن الحيوانات الساحلية هي التي استعمرت هذه الاماكن بتتبعها لبقايا الطعام خلال أجيال عديدة .

(٤) المياه العذبة

تشمل المياه العذبة جميع الانهار والبحيرات والبرك والمستنقعات والغدران ، وربما حصل استعمار هذه المياه بهجرة بعض الحيوانات بصورة تدريجية الى مصبات الانهار ، أو بالزحف المباشر في ساحل البحر الى الغدير .

(٥) استيطان اليابسة

قامت بعض الحيوانات الساكنة في البحر أو في المياه العذبة على ممر العصور باستيطان اليابسة تدريجيا ، ويجب أن نميز ثلاث غزوات كبيرة قامت بها الحيوانات وهي :

أ — غزوة الديدان : ونتيجتها لإخصاب الارض

ب — غزوة الحشرات : ونتيجتها تأسيس الرابطة بينها وبين

الزهور .

ج — غزوة البرمائيات (١) : ونتيجتها نشوء الحيوانات البرية

الراقية ونمو الذكاء والحب العائلي .

وهناك غزوات أخرى أقل من تلك شأنا ، ولكن جميعها تدلنا على أن الحيوانات المائية تميل الى احتلال اليابسة وتحاول استعمارها بشتى الطرق :

ان للنزوح الى اليابسة مزايا عظيمة ، ذلك لانه كان بمثابة التوصل الى محيط فيه مقدار من الاكسيجين أكثر مما هو مذاب في الماء . غير أن التسلسل على أكسيجين الهواء أمر صعب نوعا ما ، ولما كانت حياة اليابسة تسكيف جسم الحيوان فتجعل له أكثر صلابة وأفضل وقاية كان لا بد من تكون سطوح داخلية في جوف الحيوان تمكن الدم من أخذ الاوكسيجين وإيصاله الى جميع أنحاء البدن وهكذا نشأت الرئتان . في أغلب الحيوانات يذهب الدم الى السطوح المعدة لاتصال الاكسيجين ، أما في الحشرات واتباعها فطريقة أخذ الاكسيجين الى الدم أو الى الانسجة تختلف عن ذلك . ففي هذه الحشرات توجد أنابيب متشعبة تتوزع على جميع أنحاء البدن ، ووظيفتها أخذ الهواء من المحيط . يفسر لنا هذا التنفس الكامل مغالبة هذه الحشرات التي يكون دمها نقيًا على الدوام .

ان استيطان اليابسة أدى أيضا الى تسكيف الحركة الانتقالية في الحيوان على النحو الذي نراه الآن . فصار الحيوان يدفع جسمه

(١) كلمة منحوتة من بر وماء للدلالة على الحيوان الذي يستطيع أن يعيش فيها

التغلب على الهواء ذلك الأمر الذى أدركه الانسان عن بعد بطريقة أو جدها من عنده .

لاشك أن المقدرة على الطيران لها مزايا وفوائد عديدة ، فالطير الذى يعتاش على مافى الأرض يستطيع أن يهرب من الكواسر الداهية بارتفاعه السريع فى الهواء ، وفى وسعه أن يتبع الأماكن التى يكثر فيها الطعام والماء مهما كانت بعيدة ، وفى إمكانه أن يضع بيضه فى مواقع آمنة لاتصل إليها أيدي الاعداء . وقد استطاعت الطيور بهجراتها أن تغلب على الزمان والمكان فكثير منها لا يعرف شتاء طول حياته .

نظام الطبيعة المتطور

وللتطور صفحة واضحة أخرى وهى ميله لربط الأحياء بعلاقات حيوية مهمة ، فالزهور مرتبطة بضيوفها من الحشرات ارتباطاً حيوياً وثيقاً فيه منفعة مشتركة للفريقين . وهناك طيور تعتاش على ثمر العليق فتنشر البذور . وهكذا يحافظ على نسل النبتة ، ونعلم أيضاً أن الحارون المائى النحيف يكون مأوى لدودة الكبد (التى توجد فى الاغنام) فى أدوار حياتها ، وأن البعوض يحمل جرثومة الملاريا وينقلها من شخص الى آخر بواسطة اللسع .

ونستطيع أن نجد علائم التعاون ظاهرة بين بعض الحيوانات المتشابهة فتكون مستعمرات أو طوائف أو مجتمعات كما هو بارز فى النحل والنمل واللبائن ، وفى كل ذلك مصلحة مشتركة للأفراد المتعاونة .

على أن هناك علاقات تكون فيها المصلحة لجهة واحدة كما هى الحالة فى الحشرات التى تفسد العمليات التناسلية لبعض النباتات التى تحط عليها ، وزيادة على ذلك أن الحلقات الغذائية تربط مجموعة من الحيوانات كما هى الحالة فى سمك القد (Cod) الذى يعيش على القواقع (wheelk) والقواقع على الدودة والدودة على البقايا العضوية فى البحر .

نسيج الحياة

لقد أصبحت العلاقات المسيطرة على النظام الطبيعى متناهية فى التعقيد ، وكان التطور العامل المشجع الاكبر لذلك التعقيد . فامتدت بنية الانسان أعقد من جميع الكائنات الحية ، ويتراءى لنا أن نظام التطور قضى على الوحدة والتشابه ، وكون تنوعات جديدة ذات صفات ومؤهلات تختلف فى بعضها باختلاف المحيط الذى تعيش فيه ، وهكذا سجلت خطوات الارتقاء على لوحة الطبيعة وأصبحت الكائنات الحية فى مأمن من التسكوص على الاعقاب فى سلم التطور .

الى الأمام مستنداً الى الأرض ، وتكونت فى جسمه سلسلة من العتلات (الروافع) وهكذا تصلبت أجسام معظم الحيوانات البرية واصبحت تستند الى الأرض بمنتهيات صغيرة نسبياً — هى الانامل — حتى لاتدع مجالا لانبطاح الجسم أو تدليه الى الأرض ، فحيوان كقنديل البحر (Jelly-fish) مثلاً يعيش فى المياه ويستطيع أن ينتقل فيها بسهولة ، ولكن يتعذر عليه أن يعيش فى اليابسة لأن تركيب جسمه لا يساعده على الحركة الانتقالية فى البر . وربما تبادر الى الذهن أن بعض الحيوانات البرية تشد عن التكيف الذى تستلزمه حياة اليابسة — كديدان الأرض وأم الاربع والاربعة (Centipedes) والافاعي . ان شرح الحركة الانتقالية فى هذه الحيوانات ليس بالأمر الصعب ، فدودة الأرض تحفر طريقها فى التربة كما يفعل اللولب ، وجسم أم الاربع والاربعة يحمل على عدة أرجل قوية ، كما أن الحية تدفع نفسها الى الأمام بواسطة حراشف بطنية واسعة متصلة بمنتهيات عظمية متشعبة فى العمود الفقرى .

الضرورة وحسب الاستطلاع

ويهمنا أن نبحث الآن فى مجازفات الحياة على اليابسة ، لأن ذلك يمكننا من فهم الدواعى التى حملت عددا عظيماً من الحيوانات البرية على حفر أوكارها فى التراب ، وعددا آخر منها على تسلق الاشجار ، ولماذا رجع بعضها الى الحياة المائية ولجأ البعض الآخر الى الهواء ، وربما تبادر الى أذهانتنا أن تساءل لماذا استعمرت اليابسة رغماً عما فى ذلك من مجازفات ومخاطر عظيمة ؟ الجواب على ذلك : « أن الضرورة وحسب الاستطلاع هما أبوا الاختراع ! » فقد تكون الدواعى التى حملت بعض الحيوانات على ترك الحياة المائية هى من قبيل جفاف الصدران أو ازدحامها بعدد لا تستوعبه من الحيوانات ، أو الهرب من الاعداء الكامنة لها بالمرصاد ، ولكن يجب ألا نتغاضى أيضاً عن غريزة حب الاستطلاع التى كانت ولم تزل عاملاً مهماً من عوامل التقدم .

(٦) غزو الهواء

وأخيراً لجأت الحيوانات الى الهواء فنجحت فى غزوه الحشرات والعظايا المجنحة القديمة (Pterodactyls) والطيور والوطاويط وأخفقت غيرها فى تلك المحاولة كما نرى ذلك جلياً فى الأسماك الطائرة التى تقفز فى المياه الى علو بضع يردات ، تساعد على ذلك زعانف كبيرة تنشرها عند القفز ، وهذا ما نجده أيضاً فى الضفادع الطائرة (Rhacophorus) التى تطير من غصن الى آخر . وهناك كثير من أمثال هذه الحيوانات التى يستدل منها على محاولة الحيوان فى الماضى

القصص

زنبيل (١)

بقلم الأديب حسين شوقي

وكانت نعومة شعرها أشبه شيء بنعومة الزئبق ..
أما عينها فكانتا تعكسان ما تشاهده على ضفاف البوسفور
من خضرة زمردية بديعة ..

وكان لحم كفها ناعماً طرياً إلى حد أننا كنا نجد لذة في القبض
على تلك الأكف الطريفة ..

كان صيد الفيران والصراصير من الأمور الحظيرة التي لا تعرض
لها زنبيل ، كما تفعل ذلك القطط الأخرى ..

لأن تسلية زنبيل الوحيدة كانت أن تسحب أمامها خيطاً
فتجهد هي أن تقفه بضربات يدها الصغيرة .. وظالما جررنا
لها ذيلها لنوهمها أنه خيط عادي فكانت المسكينة تصدق ذلك
فتوسعه ضرباً ..

وفي ذات يوم وقعت حادثة أدهشت من المنزل جميعاً وهي أن
زنبيل حامل إرباء ! كيف زلت زنبيل الأرستقراطية ؟ كيف خالطت
زنبيل قطط الحى وهي كلها قطط عادية شعبية لا تمت لانقرة بنسب ؟
ولكن زنبيل وكأنها شعرت بالخطيئة الكبيرة التي ارتكبتها
ما كادت تضع حملها حتى هجرت صغارها ، فاضطربنا أن نغذى
هؤلاء الصغار تغذية صناعية . كانت زنبيل على حق في هجر أطفالها لأن
هؤلاء الصغار كن من الصعاليك لا يليق أبداً أن ينسب إليهم ! ..

بعد مرور عامين على هذا الحادث ، وعودة زنبيل إلى حياتها
الأولى الهادئة ، عزمنا على قضاء بضعة أشهر في الخارج ، فعهدنا إلى
أحد الخدم برعاية زنبيل ، والعناية بوجه خاص بغذائها ، وهو
دجاجة مسلوقة كل يوم ، وكانت زنبيل لا تأكل منها إلا اللحم
.. ولكن لدى عودتنا من أوروبا فوجئنا بخير وفاة زنبيل ،
على أثر مرض لم يمهلهما طويلاً .. كما قال الخادم المكلف بخدمتها ..
أما الحقيقة التي عرفناها بعد ، فهي أن ذلك الخادم الخبيث كان
يأكل دجاجة زنبيل ويعطيها عظمها فترفضه زنبيل .. وهكذا
فقدت حياتها ، ولكن في كرامة وأباء ! كما يفعل الأرستقراطيون
الاصلاء ..

إذا كان المسيو هريو الوزير الفرنسي الكبير قد أبدى لدى
عودته من موسكو إعجاباً شديداً بروسيا الشيوعية في أحاديثه إلى
مندوبي الصحف ، فإني أعرف كاتباً ما كان ليشاركه في إعجابه لو كان
حيّاً ، وهذا الكاتب هو قطتنا زنبيل ، لأن زنبيل كانت أرستقراطية
بحقيقة معنى الكلمة ، ويحسبنا نبلاً أنها من مخدرات قصر يلدرز . وإني
محدثك كيف آلت إلينا : كنا في الاستانة بعد خلع السلطان عبد
الحيد ، وكان أثاث القصر يباع يومئذ بالمرزاد العلني ، فذهبنا لنشاهد
ما عرض من طرائف التحف ونفائس الكنوز لأن شهرة يلدرز بهذه
العجائب لا تنقل عند الناس عن شهرة مغارة « على بابا » في الف ليلة
ذهبنا إلى القصر على غير نية الشراء لأن والدي كان يعارض في
إبتياح شيء من يلدرز احتراماً لذكرى عاهلها المخلوع ، وكان يحله
ويرى فيه رمزاً لمجد الامبراطورية العثمانية التي بدأ ظلمها يتقلص فعلاً
يعد سقوطه ، ولكن ما كادت أبصارنا تقع على زنبيل القطعة الأنقرية
الجميلة حتى وقفت لا تريم عنها انصرافاً . وانقسمنا فريقين فريقاً من
الصغار (نحن) يتمسك بالشراء ، وفريقاً من الكبار يعارض
فيه ، وانتهى الخلاف طبعاً بانتصارنا ، إذ كان لابد من انقاذ زنبيل
من الحالة المهينة التي كانت عليها في تلك الساعة ، فقد وضعت في
قفص ضيق حقيق لنشاهدها الرائحون والغادون .. فدفعنا الثمن
خمسة جنيهات وحملناها معنا .. أما طرائف القصر الأخرى فكانت
عادية لا تزيد على نظائرها في سائر القصور الملكية .

مازلت أذكر زنبيل خلال ضباب الماضي البعيد ، وهي جالسة
على مقعد من القטיפ في الصالون الصغير بمنزلنا القديم بالمطرية ،
ترتل أناشيدها في هدوء وطمأنينة .. وكما كان شعر زنبيل جميلاً يحاكي
بياضه الناصع الثلج الذي يحل جبال الاناضول وطنها العظيم ،

الحارس

لجى دوموپاسان

ولكنه تخلى عنه اثناء اقامتى هناك لامرأة مسنة تدعى «سيلست»
كان الكهل قد أتى بها لصنع الطعام .

قد علمت الآن الاشخاص والمكان فيها كم الحادثة :
نحن فى ١٥ أكتوبر سنة ١٨٥٤ وهو التاريخ الذى لا أنساه
أبدأ . خرجت ذات صباح من روان متمطيا صهوة جوادى يتبعنى
كلبى « بوك » ذو الصدر الواسع واللسان الحاد والاسنان القوية ،
التي تخترق الاشواك .

وكنيت مردفا حقيقة سفرى وبنديقتى ، وكان يوماً شديداً البرد ،
عاصف الهواء رطبه ، كشف السحاب مسرعة ، وكنيت
أرى من الشاطئ وادى السين الواسع الذى يمتد ماؤه حتى الأفق
ماراً بأوكار الثعابين على ضفتيه ، وكان النظر يمتد على الضفة اليمنى
حتى يقف على الشواطئ البعيدة المستورة بالغابات ، ثم اجتزت
غابة رومار ، مبطنا تارة ومهرولا أخرى حتى كنت فى الساعة
الخامسة تقريبا أمام البيت حيث كان الكهل والعجوز ينتظراننى .
وبعد عشر سنوات من نفس التاريخ ذهبت بنفس الهيئة وسلمت
على نفس الوجوه بنفس الكلمات .

— أهلا وسهلا أيها السيد ، كيف صحتك ؟ ألا تزال جيدة ؟
وكان الكهل لم يتغير منظره أبداً ، فقد كان يقاوم الزمن كالشجرة
المسنة ، ولكن « سيلست » كانت قد تغيرت ملاحظتها منذ أربعة
أعوام لا أكثر حتى أتى لم أعرفها لأول وهلة . غيرها الزمان
ولكنها مازالت نشيطة . وكانت تمشى بجسمها الطويل منحية الى
الامام حتى أن رجلها كانتا تشكلان تقريبا زاوية قائمة .
وكانت هذه المرأة تبذل جهدها فى عملها ، وكانت تدهش عندما
ترافى وكانت تقول لى عند كل ذهاب :

— هل هذه هى المرة الأخيرة التى أراك فيها يا عزيزى ؟
حقا أن وداع هذه الخادمة محزن ، وأن قنوطها أمام الموت
الذى لا مفر منه كان يظهر جليا فى وجهها وعينها حتى أن وداعها
كان يؤلمنى يشعرنى بحالة نفسية غريبة .

نزلت عن ظهر الجواد الى الارض وكان الكهل الذى صاحته .
يقود الجواد الى المأوى الصغير الذى يصلح أن يكون اصطبلًا ،
ثم تبعت سيليست الى المطبخ الذى يصلح أن يكون غرفة طعام .
ثم تبعنا الحارس ، وقد لاحظت للوهلة الأولى أن وجهه ليس
كالمعتاد فأن القلق والضيق يظهران عليه فقلت له :

— هل تريد أيها الشيخ أن يسير كل شيء فى العالم حسب رغبتك ؟
فقال بصوت هادئ :

— إن ما حدث لى اليوم ، سبب لى هذا الضيق

بعد أن فرغنا من تناول الغداء ، كان قد بدأ صديق لنا
قديم وهو السيد (بونيفاس) يسرد علينا حوادث ومخاطرات جرت
له أثناء الصيد ، وهو مشهور بالصيد وشرب الخمر ، جلد ، بشوش ،
ذو تفكير ناضج ، وشعور حى ، وله فلسفة تمكينية تظهر بها نفسه
عند المداعبة القارصة ، ولا تظهر أبدا إذا تكلم بحزن . قال
لنا فجأة :

إننى أعرف حادثة صيد ، أو بالأحرى مأساة صيد فريدة فى
بابها ، لا تشبه أبداً الحوادث التى نعرفها ، وإننى أعلم أنى لم أقصها
عليكم من قبل ولا على غيركم ، لأنها لا تسلى أحداً ، فهى ليست
عاطفية ، أريد أن أقول أنه ليس لها هذا النوع من اللذة التى تشوق
السامع أو التى تسحره ، أو التى تذهله ، وهما كم الحادثة :

كان عمري آنذا يناهز الخامسة والثلاثين ، وكنيت اصطاد
بقوة الشباب ، وكنيت قد اقتنيت فى ذلك الوقت قطعة أرض منعزلة
فى إحدى الضواحي محاطة بالغابات وهى مأوى طيب للارانب .
ذهبت اليها مرة وقضيت فيها وحدى أربعة أيام أو خمسة لأننى لم
أتمكن من اصطحاب أحد الاصدقاء . مكثت هناك كالحارس أو
كشرطى متقاعد شجاع شديد البأس على باب قلعته ، وكنيت لأخاف
شيئاً . وكان بالقرب من أرضى ، بيت صغير منعزل أو بالأحرى
كوخ يتألف من غرفتين سفليتين ومطبخ . وغرفة للطعام ، وغرفتين
علويتين ، احدهما صغيرة لا تتسع لا أكثر من سرير ومراة وكرسى
وهى التى استأجرتها ، وكان يشغل الثانية (كفالبيه) الهرم ، وقد قال
لى أنه وحيد فى مسكنه . فأقمت عنده باسم مستعار ثم أسكن
معه حفيده ، وهو من الأشقياء تبلغ سنه أربعة عشر عاماً كان يذهب
من حين الى آخر الى القرية التى تبعد ثلاثة كيلومترات وكان يساعد
الكهل فى أشغاله اليومية .

كان لهذا الشقى الطويل الهزيل المخلودب قليلا ، شعر أصفر
اللون خفيف يشبه ريش الدجاجة المقصوص ، حتى ان
من يراه يحسبه أصلع ، وله كذلك قدمان ضخمتان ويدان
جبارتان كيدى المارد ، عينه حولاء قليلا ، وكان اذا مشى لا يرى
أحدًا فهو الى الحيوانات أقرب منه الى الانسان لأنه يشبه الثعلب .
كان ينام فى ثقب صغير فى أعلى الدرج وكان يدعى « ماريوس »

فقلت : ماذا حدث لك أيها الكهل ؟ هل لك أن تقص علي ذلك فأوماً برأسه سلباً ؟ وقال :

— لا ، لم يحن الوقت أيها السيد ، اننى لا أريد أن يحصل مثل هذا بعد الآن ، فألحقت عليه ، ولكنه رفض أن يبدأ بها قبل الغداء فعلت أنها قصة مؤثرة . ثم قلت له قطعاً للصمت :

— وهذه الجعبة ؟ هل لنا فيها شيء ؟

— فقال : نعم ، ستجدون ما تشاءون ، الحمد لله ! لقد كان نصيبى اليوم وافراً .

قال هذه الكلمات بشجاعة ، ولكنها شجاعة حزينة تبعث على الضحك ، فان شاربيه الضخمين الرماديين كانوا على وشك السقوط من فوق شفته .

ثم أخبرتهما فجأة اننى لم أر الحفيد الى الآن فقلت :

— وما ربوس ؟ أين هو ؟ لماذا لا يظهر الآن ؟

فاعترت الحارس رجفة خفيفة ثم التفت الى بسرعة وقال :

— أريد إذن أن أقص عليك الآن أيها السيد كل شيء ، أجل اننى أفضل ذلك ، وأن الذى أطويه فى سرى يتعلق بماريوس .

فقلت أين هو الآن ؟ فأجاب :

— إنه بالاصطبل ياسيدى ، وأنا أنتظر الساعة التى يظهر بها فقلت وماذا يصنع هناك ؟ قال :

— إسمع أيها السيد . . . ثم تردد برهة وتغير صوته وإرتجف وظهرت على وجهه تجاعيد الشيخوخة ثم قال :

— إسمع ، لاحظت فى هذا الشتاء أن هناك سارقاً فى الغابة ولكنى لم أتمكن من القبض عليه . فقضيت هناك بضعة ليال ولكنى لم أجد شيئاً . وفى هذه الاثناء أخذ يترديد المسروق من الغابة ؛ فانفجرت غيظاً وحنقاً وطفقت أبحث عن المجرم ، ولكن عبثاً .

وفى أحد الايام عند ما كنت أنظف سروال ماريوس وجدت فى جيبه أربعين قرشاً ، فقلت فى نفسى من أين لهذا الغلام بها ؟

ولبثت ثمانية أيام أفكر ، ثم رأيته يخرج كل يوم عند ما أرجع الى البيت لاستريح ، فعندها أخذت أراقبه ، ولكن دون أن يرتاب بى .

وفى ذات صباح رأيته يستعد للذهاب فنهضت على خلاف عادتى وتبعته وليس أحديجارىنى أيها السيد فى التتبع . ثم قبضت عليه . قبضت على ماريوس الذى كان يسرق من أرضك أيها السيد ! نعم هو حفيد حارسك

فغلى الدم فى رأسى وفكرت فى ان أقتله فى مكانه بضربة من يدى ، آه . نعم ضربته وقلت له اذهب ، وأوعدته أنك عندما تكون هنا سأضربه مرة أخرى عقاباً له لاردهه ، وقد أثر فى الحزن فهزل كما ترى وأنت تعلم عقاب مخالفة كهذه المخالفة . ولكن ماذا كنت تعمل

غير هذا ؟ أنه ليس له أب ولا أم وليس من أسرته إلا أنا ؛ فكنت أراقبه ولا أقدر أن أطرده ، على انى أنذرت أنه إذا عاد الى هذا العمل فان خاتمته سوف تكون على يدى . وان أرحمه أبداً ، فهل صنعت حسناً أيها السيد ؟ فقلت له ماداً اليه يدى .

— نعم ما فعلت أيها الشيخ ! إنك رجل شجاع

فقال : شكراً أيها السيد . وسأذهب الآن فأدعوه اليك ؛ فيجب أن تودبه أنت أيضاً ليرتدع .

وكنيت أعلم أنه ليس من اللائق أن أورد هذا الشيخ عن قصده ، فتركتة يفعل ما يشاء ، فذهب يبحث عن الشقى ثم رجع به يحمله من أذنه .

وكنيت جالساً على كرسى من القش مهيئة المستعد للحكم . فظهر ماريوس أمامى كبر سناً وأكثر قبحاً من السنة الفائتة ، وظهرت يداه الكبيرتان ضخمتين ، فدفعه عمه أمامى وقال بصوت المرنى :

— اعتذر لصاحب الأرض !

فلم ينس الغلام بينت شفة

فقبض عليه عمه من ابطيه ورفعته عن الارض وأخذ يضربه بقسوة اضطرتنى الى أن أستشفع له فأخذ الولد يصيح

— شكراً ، شكراً أعدك أن . . .

ثم ألقاه الشيخ على الارض وأخذ يضربه على كتفيه وركبته قائلاً له : - اعتذر

فقال الشقى أخيراً بصوت متهدج وطرف خاشع : اعتذر ، وعندئذ رفعه عمه وأطلقه بركة جعلته دحرجته فوق الارض فنجما ، ولم أعد أراه فى المساء

ولكن ظهر على الشيخ أنه تعب فقال : - إن أخلاقه سيئة . وقال ونحن على مائدة الغداء .

— اننى أحزن له أيها السيد ، أنت لا تعلم كم يشجبنى أمره . فحاولت أن أسليه ولكن عبثاً . . .

ونمت باكراً استعداداً للصيد ، وكان كلنى نائماً عند رجل سريرى حين أطفأت شمعتى .

استيقظت نصف الليل على صياح الكلب ، ولاحظت أن غرقى ملائى بالدخان ، فقفزت من فراشى وأشعلت النور وهرولت نحو الباب ففتحته فدخل تيار من الدخان ، وكان البيت يلتهب !

فأقفلت الباب بسرعة ولبست سروالى وانزلت أولاً كلنى من

بلياس ومليزاند

للفيلسوف البلجيكي موريس ماترنك
ترجمة الدكتور حسن صادق

(تابع)

مليزاند — خل سبيله ... قد يباغتنا أحد ...
بلياس — كلا . كلا . لن أطلق سراحك الليلة . أنت سجينتي ،
وستظلين كذلك الليل كله ...

مليزاند — بلياس ! بلياس !
بلياس — لن تستطيعي الفكك بعد ذلك ... إلى أربط شعرك
حول الأغصان ... لم أعد أتالم وسطه ... أسمعين قبلا ترقص
على امتداده ؟ إنها تتسلقه ، ويجب أن تحمل كل شعرة إليك قبله ...
أنظري ... أستطيع الآن أن أفتح يدي ... أترين ؟ هاتان يداي
مفتوحتين طليقتين ، ومع ذلك تعجزين عن هجرى والابتعاد عني !
(يخرج من البرج يمام ويطيير حولهما)
مليزاند — أوه ! آلمتني ... ما هذه الطيور التي تحوم في
الفضاء حولي ؟

بلياس — اليمام خرج من البرج ... لقد أفرغته فطار
مليزاند — أنه يمامي يا بلياس ! إذهب من هنا ودعني وحدي ..
لن يعود إلى يمامي !
بلياس — ولماذا ؟

مليزاند — سيضل في الطلام ... دعني أرفع رأسي ... إلى ،
أسمع وقع أقدام ... اتركني بربك ... إن (جولو) مقبل علينا !
أعتقد أنه هو ! لقد سمع حديثنا ..

فألمت ، وأخذ الغلام ينازع ثم قضى قبل أن ينطفئ الحريق
دون أن يقول كلمة .

وكان كافالييه واقفا بقميصه وساقيه العاريتين ، لا يتحرك
وعند ما أتى رجال القرية حملوا حارسى وهو كالجنون .
ذهبت الى المحكمة شاهداً وسردت الحادث بتفاصيله
دون أن أبدل شيئاً ، فبرى كافالييه ، ولكنه ترك البلدة في اليوم
نفسه ولم أعد أراه ..

هذه قصة صيدى أيها السادة !

محمد ناجي الطنطاوى

النافذة بواسطة جبل مربوط في سترى ، ثم القيت ثيابي وسكفني
وبندقيتي وزلت أخيراً بالواسطة نفسها .

وأخذت أصبح بكل قواى : - كافالييه ! أيها الشيخ ! كافالييه !
ولكن الشيخ لم يستيقظ ، بل كان نائماً نوم الضباط العميق ، وفي
هذه الاثناء رأيت من أعلى النافذة أن الطابق الأسفل كالأنون
المستعر ، ولاحظت أنه مملوء بالتبن الذى أشعل لتقوية الحريق ..
وعاودت الصباح بشدة قاتلاً : - كافالييه ..

ثم مر خاطر برأسي ، فصوبت بندقيتي الى النافذة وأطلقت
رصاصةتين فانكسرت الألواح الستة ، وفي هذه المرة سمع الكهل
ولما رأى النار اعتراه ذهول ودهش فصاحت به :

بيتك يحترق ، الق نفسك من النافذة ، اسرع ، اسرع .. وكان
الدخان يخرج من النوافذ السفلية ، موازيا الحائط ثم يزحف الى الشيخ
ويحيط به ، فألقى بنفسه فسقط على رجليه كالحفرة . ثم مضى وقت ،
وصار السقف يفرقع وكان الدرج أشبه بمدخنة طويلة ، وكان لسان
النار الطويل يتصاعد في الجو ويتمدد ، وكانت الشرارات تتناثر
حول البيت فقال الشيخ بذهول :

— كيف حصل هذا ؟ فأجبت : — وضعت النار في المطبخ
فقال : — من قطن انه وضعها ؟ فقلت فجاءة : — ماريوس !
ففهم الشيخ وقال : — آه ولأجل هذا لم يرجع يعد
ولكن فكرة رهبة خطرت لقلتي : وسيليست ، سيليست !
فلم يجب ، ولكن المنزل كان ينهار امامنا كتلا من الاحجار لأمعة
دامية ، وكانت المرأة المسكينة قد صارت حجراً أحمر ، من اللحم
البشرى .

اننا لم نسمع صياحا ، ولكن عند ما انتقلت النار للسقف المجاور
لسقفنا فكرت في جوادى وركض الشيخ ليخلصه .

وتمكن بمشقة من فتح باب الاصطبل فشاهد جسماً خفيفاً
سريعاً مر بين رجليه ولطمه في أنفه ، وكان هذا ماريوس هارباً
بكل قواه ، فنهض الشيخ ليقبض على الشقى ، ولكنه
عرف انه لا يمكنه اللحاق به ، وأصابه جنون شديد ، ولما رأى انه
لا يستطيع القبض عليه تناول بندقيتي الموضوعه على الارض قريباً
منه فوضعا تحت ابطه قبل أن تبدو منى حركة واحدة ، وأطلقها
وهو لا يعرف أن فيها رصاصات عديدة ، فأصيب الحارب في ظهره
وسقط على الارض مضرجاً بدمه ، فأخذ ينكت الارض يديه
ورجليه كأنه يريد أن يركض على أربع كالارانب الجريجة
حين ترى الصياد قادماً اليها .

بلياس — انتظري ! انتظري ! شعرك عالق بالأغصان .. وقد
إشتبك في سواد الليل . انتظري !
انتظري ! .. التف الكون بالظلام ...
(يدخل جولو من الطريق المستديرة)
جولو — ماذا تصنع هنا ؟
بلياس — ماذا أصنع هنا ؟ ... إلى ...
جولو — أتأطفالان ... مليوناند ، لا تنحني هكذا على النافذة ..
ستسقطين ... أنستما أن شطراً كبيراً من الليل قد تردى في هوة
الماضي ؟ ... كاد الليل أن ينصف ... لا يجوز أن تلعبا في الظلام
كما تفعلان الآن ... أتأطفالان ... (ثم يقول في إنفعال شديد)
أى طفلين ، أى طفلين !
(يخرج مع بلياس)
المنظر الثاني :

(كهوف تحت القصر . يدخل جولو وبلياس)
جولو — أحترس ... من هنا من هنا ... ألم تلج فقط
هذا المكان ؟

بلياس — بلى ، مرة واحدة ... وقد مضى على ذلك زمن طويل
جولو — إذن أنظر ... ها هوذا الماء الراكد الذي حدثت
عنه ... أتشم رائحة الموت التي تنبعث منه ؟ هل تم تقدم حتى تبلغ آخر
الصخرة المطلة على الماء ، ثم إنحني عليها قليلاً ... ستهب عليك
الرائحة وتصدم وجهك .. إنحني ولا تحف ، سأشد أزرارك .. أعطني ..
لا .. لا .. لا أريد يدك .. أخشى أن تفلت من يدي .. أعطني
ذراعك ... أترى الهاوية ؟ بلياس ؟ بلياس ؟
بلياس — نعم . أعتقد أني أرى قاع الهاوية ... أهو النور الذي
يهتز هكذا ؟ ... أنت ...
جولو — نعم . إنه المصباح في يدي يهتز .. انظر ، إلى أحرکه
لأنير الجدر ...

بلياس — إلى أختق في هذا المكان . هلم نخرج
جولو — لك حكمك
(يخرجان في صمت)
المنظر الثالث :

(شرف terrace عند مخرج الكهوف)

بلياس — آه ! الآن أتتفس بعد ضيق ... اعتقدت ، لحظة ،
أن الدوار سيصرعني في هذه الكهوف الهائلة .. كنت على وشك
السقوط ... في ذلك المكان المخوف هواء رطب ثقيل كأنداء من
الرضاص ، وظلمات كثيفة كعجين مزج بالسموم ... وهأنذا أملاً

رتقي بهواء البحر كله ! .. إلى لأجد نسماً منعشاً نضيراً ، كرهرة
تفتحت في هذه اللحظة وسط أوراق صغيرة خضراء .. آه ! لقد
سقيت منذ قليل الأزهار المغروسة أمام الشرف ، والنسيم يحمل
إلينا رائحة العشب المبلل ويفوح بشذى الأزهار وعطرها ...
حان وقت الظهراً وكاد ، وآية ذلك أن ظل البرج قد أدرك الأزهار .
اتنصف النهار ، لأنني أسمع دق النواقيس وأرى الأطفال يحرون نحو
شاطئ البحر للاستحمام . آه ! أنظر ، أنا ومليوناند في إحدى نوافذ البرج
جولو — نعم إنهما لجأتا إلى ناحية الظل بعصمهما من حرارة
الشمس ... وبمناسبة مليوناند أقول لك إلى سمعت ماجري وما
قبل أمس مساء . إنه حديث أطفال بلعبون ، وأعرف ذلك جيداً المعرفة
ولكن يجب ألا تعودا إلى ما كنتم فيه من حديث ولعب .
إنها رقيقة الحس ورقيقة الأعصاب ، وحالها تتطلب معاملة فيها
حسن السياسة ولطف الكياسة ، لأنها فوق ما ذكرت تحصل في
أحشائها جنيناً وستصبح أما في القريب العاجل . وأقل إنفعال قد
يصيبها بمكروه . وليست هذه بأول مرة أرى فيها ما يجعاني أظن أن
بينك وبينها أشياء .. إنك أكبر منها سناً ، ويكفي أن أقول لك
ذلك .. تجنبها ما استطعت ، ولكن في غير تصنع .. أسمعته ؟
في غير تصنع (يخرجان)

المنظر الرابع :

(أمام القصر . يدخل جولو وولده إينولد الصغير)
جولو — تعال نجلس هنا يا إينولد . تعال . على ركبتك . سنرى
من هذا المكان ما يجري في الغابة . لم أعد أراك يا بني منذ أيام
كثيرة . أنت أيضاً تهجرني وتزور عني معرضاً ! إنك في كل
حين عند أمك الصغيرة (يعني مليوناند) .. آه ! ها نحن أولاء
نجلس تحت نوافذها مصادفة .. تعلمها في هذه اللحظة تؤدي صلاة
المساء .. ولكن دعنا من هذا وقل ، يا بني : إنها تقضي أكثر
وقتها مع عمك بلياس ، أليس كذلك ؟ (يتبع)

محمود المصطفى

صاحب المكتبة المصرية

سفره بيع وتوزيع عموم المجلات
والجرائد المصرية والسورية في العراق



دائرة المعارف الإسلامية

لأستاذ أحمد أمين

أهم الكتب التي تفيد الباحث وترشده الى أهم ما قيل في الموضوع وتدله على خير الكتب العربية والافرنجية التي يصح أن يرجع الباحث اليها للاستزادة منها

وكثيراً ما فكرت لجنة التأليف والترجمة والنشر في تعريبها حتى ينفع بها قراء العربية في الممالك الشرقية ولكن أكثر ما كان يعوقهم أمور :

(الأول) أن العمل لم يتم بعد ، وقد سار المؤلفون في ترتيبها مراعين الكلمة العربية بحروفها الأفرنجية فوضعوا مثال كلمة « عبد » في حروف الألف - وكثير من المواد التي لم تؤلف بعد هي في حرف الألف بالعربية ، وإن كانوا هم قد آتموا حرف الألف بالأفرنجية فكلمة « أسامة » و « أرجوان » يجب أن توضع في حرف الألف بالعربية وهي توضع في حرف a بالأفرنجية فلا تمام كل حرف يجب أن ينتظر الى اتمام الكتاب

(الثاني) أن كثير من الموضوعات نظرها العلماء المستشرقون نظرة خاصة غير النظرة التي ينظرها المسلمون وعالجوا نواحي قد يهم المسلمين غيرها ، وبعضهم كان متعصبا فكان يمزج عصبية ببحثه كما فعل الأب لامانس في بعض ما كتب ، وهذا يوجب أن يكتب الموضوع من جديد ومن غير تحيز

(الثالث) أن بعض الموضوعات قد تغير فيها نظر العلم منذ كتبت ، فالكتب التي عثر عليها في هذه الأعوام الثلاثين ، والنقوش التي استكشفت ، وجهود العلماء ، جعلت المادة لو كتبت من جديد اكانت أدق وأوفى ، وجعلت المراجع التي يجب أن يشار إليها أتم وأكمل

(الرابع) أن المواد لما وزعت على الأعضاء لم تخرج متناسبة فقد رزقت بعض المواد الخطوة التامة فلات الكتابة عليها كثيرا من الفراغ على حين أن مادة أهم منها قد لا تذكر بتاتا أو تذكر في قليل من الايجاز فخرج الكتاب غير متناسب الأجزاء

هذا كان تفكير الشيوخ ، والشيوخ دائما حذرون يكثرون التفكير في العواقب ويحسبون لكل خطوة ألف حساب ، فما هو إلا أن نهض الشباب ولا راد لنهضته فهزأ بكل العقبات وثابر على العمل وجد واقتنع بأن اخراج العمل مع ما قد يكون فيه من

لعل أكبر عمل قام به المستشرقون هو تأليف دائرة المعارف الإسلامية ، قصدوا بها أن يجمعوا بحوثهم ومعلوماتهم في كتاب جامع مرتب على حروف الهجاء ، يتكلمون فيه عن البلدان والموضوعات التاريخية والفقهية والنحوية واللغوية الخ ويترجمون فيه للأعلام

وقد بدأوا عدتهم في ذلك بنشر الفكرة بين علماء الاستشراق سنة ١٨٩٩ على ما ذكر ، وأخذوا يجمعون المواد ويرتبونها ويوزعونها على العلماء من هولنديين وألمان وإنجليز وفرنسيين وإيطاليين وغيرهم من الشرقيين ، وظلوا في هذا الأعداد نحو عشر سنوات ، ثم أصدروا الأعداد تباعا باللغات الثلاث الانجليزية والفرنسية والألمانية ، كل عدد يقع في نحو ثمان وستين صفحة بالخط الدقيق

واعتموا اخراج هذا المعجم في أربعة مجلدات ضخام كل مجلد يقع في أكثر من ألف صفحة ، وقد أخرجوا الى الآن مجلدين وأعدادا من المجلدين الثالث والرابع وقد عنوا بتوزيع الموضوعات على المختصين فيها فكثير من الموضوعات المتعلقة بالفقه والأصول كان يكتبها جولدن زهبر والأدبية « هوار » وهكذا

ولم يستوفوا في كتابتهم كل ما يجب أن يكتب حول الموضوع وإنما اقتصروا على أهمه ووكلوا الافاضة في ذلك الى المراجع التي يذكرونها عقب كل مادة ثم يذيلونها باسم من كتبها ، ولهم الى الآن نحو خمسة وعشرين عاما يوالون اخراج اعدادها ، وربما كان امامهم نحو عشر سنوات أخرى لاتمامها ، فهم في كل عام يخرجون عديدن أو ثلاثة ، وكلما انقضت طبقة من العلماء والناشرين حلت محلهم طبقة أخرى يهجون منهمهم ويسرون في طريقهم وإن كان الرعييل الاول أمتن وأعمق من الرعييل الذي خلفه ، والكتاب في جملته من

معجم الحيوان

تأليف الدكتور أمين باشا المعلوف

ليس هذا السفر الجليل مما تجوز معه القراءة السريعة والنظرة العجلى ، لانه ليس لغواً من القول وحشوا من الكلام ، بل لابد لك - إن أردت أن تحصل بما فيه شيئاً - من وقفة طويلة يحدوها الصبر الجليل . ذلك لانك بصدد بحث على دقيق فهو معجم لأسماء الحيوانات بقلم الفريق أمين المعلوف ، ذكر فيه لكل حيوان اسمه العربى والفرنسى والانجليزى فضلاً عن اصطلاحه العلمى . ووصف كل حيوان وصفاً أوجز فيه حيناً واسهب حيناً آخر ، إذا لمقتضى الامر لم يجازأ أو اسهابا

وليس هذا المعجم وليد اليوم ، إنما هو مقالات نشرت في مجلدات عديدة من المقتطف . بدى في نشرها منذ أكثر من عشرين عاماً ، ولكن الدكتور المؤلف قد توج هذا المجهود العظيم ، وأتم على قراء العربية فضله ونعمته ، بأن جمعها وروبها وربتها في معجم واحد ، فبذلك مكانا شاغراً في المكتبة العربية

وأحب أن أسوق اليك مثلاً لدقته في البحث ، ما جاء عن ترجمة كلمتي leopard , tiger : فقد كان شائعاً بيننا أن الاولى تطلق على النمر ، والثانية على الفهد ، ولكنه أثبت خطأ هذا التعريب ، وبين أن tiger معناها ببر ، وأن leopard معناها نمر ، أما الفهد فهو ما يقول عنه الانجليز Cheeta . ويحسن أن نقل الى القارىء نص ما جاء بالمعجم في تعريب كلمة tiger ، ليرى المراجع التى استند اليها المؤلف : ببر (فارسية معربة) tiger. Felis tigris سبع هندي يعادل الأسد في عظم الجثة والقوة الا أنه أشد منه بطشاً . وهو أبيض البطن والجانبين مع صفرة ، ومخطط بخطوط سود ولا بد لي من الاطالة في الكلام على البر والنمر والفهد والوشق وعناق الأرض ، وذلك لكثرة الخطأ في ترجمة هذه الألفاظ . فالعرب لم يكن عندهم لفظة يعبرون بها عن هذا الحيوان المسمى tiger عند الافرنج فاستعملوا اللفظة الفارسية ولم يسموه نمر ولا النمر الهندى ، ولا بأس بتسميته بالأسد الهندى كما جاء في محيط المحيط فانه أقرب الى الأسد منه الى النمر . وقد وردت لفظة البر كثيراً في المؤلفات العربية وفي الشعر العربى والمقصود بها هذا الحيوان المخطط المسمى tiger عند الافرنج ، فقد جاء في كتاب عجائب المخلوقات « البر حيوان هندي أقوى من الاسد ، بينه وبين الاسد معاداة ، واذا قصد البر النمر فالأسد يعاون النمر » وقال الدميرى في آخر كلامه عن البر : « وذكر في ربيع الابرار ان السبر على

نقص أجدى على العالم العربى من الانتظار ، فليخرج ولينتفع به القراء والباحثون وليتقد ثم ليصالح النقد ، وليكن فيه تقصير ، ولكن هذا التقصير يستدرك ، فسنستدركه نحن أو يستدركه غيرنا ، هذا خير ألف مرة من التسويف وانتظار الزمن وانتظار الكمال ، اذن فلننهض بحمل العبء ، وليجد غيرنا في نقدنا واصلاح ما فاتنا ، فمن وراء هذا وذاك عمل مجيد أقل ما فيه أنه عمل يطلع علماء الشرق على عمل الغرب في مادتهم وعلومهم ، ويعلمهم كيف يبحثون ويرتبون معلوماتهم ، ويضعونها تحت السبر والاختبار ، ويبحث علماء الجبل القادم في الشرق أن يهبوا من رقدتهم فيضعوا بأنفسهم ولأنفسهم معاجم ودوائر معارف يعنونها اعداداً صحيحة وأقياً ثم لا يكونوا عالة يتسكفون الغرب

لعل هذا وأكثر منه هو مادار في نفوسهم وحفزهم للعمل فتحملوا العناء مبتهمين راضين

لقد أخرجوا لنا باكورة عملهم في هذا العدد الأول وهو في ورقاته القليلة يدل على ما وراءه من جهد كبير ، فهم بلا شك قبل ذلك ترجعوا كل كلمات الدائرة ورتبوها حتى تكون متسلسلة محكمة ، وهم بلا شك راجعوا كثيراً من النصوص واستفتوا كثيراً من العلماء فيما غمض عليهم ، واستعانوا بهم فيما نرى أثره من تعليقات قد قرأت هذا العدد وراجعت بعض مواده على الاصل الانجليزى ووافقت الاستاذ اسماعيل مظهر على بعض وجوه النقد المنشورة في هذا العدد والتي ستشعر في العدد التالى ، ولكن أهم ما لاحظته وأود أن يتداركه في الاعداد القادمة أن الترجمة بنقصها كثير من الصقل ، فالقارىء يشعر دائماً أن العبارة مترجمة عن أصل أجنبي مع أن مقياس جودة الترجمة فقدان هذا الشعور وأن يخيّل للقارىء أنها كتبت بالعربية ابتداء

من أمثلة ذلك ما جاء في صفحة ١٤ : « ومن واجب كل مسلم أن يعمل المعروف وأب ينهى عن المنكر » مع أن المؤلف في العربية : « أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر » وما جاء في صفحة ١٣ : « وهم دون أن يجادلوا في شرعية حكم الخلفاء الاربعة الراشدين كما يفعل الشيعة يصرون على أن القدوة الحسنة بعد النبي كانت في أبى بكر وعمر » فبحال أن تصدر هذه الجملة من كاتب يضع كتابته بالعربية ، الى أمثال من ذلك يكاد يجدها القارىء في كل صفحة . فلعل مرونة القلم والصبر على التجويد والرغبة في تحقيق الأكمل يذهب بهذا النقص في الاعداد القادمة

وأخيراً أحي في الشباب هذا الجد والنشاط وأكبر هذه العزيمة وأنغى للمشروع النجاح ؟

من المعلومات ما لا يوجد بين دفتي الكتب . مثال ذلك كلمة « أصله » التي ورد ذكرها في أساطير الاولين أنها حية وكفى دون أن يعلم لحقيقتها وجود ، فاستطاع أثناء وجوده بالسودان أن يطبق هذا الاسم على مسماه لأنه سمع الأهلين هناك يطلقونه على نوع خاص من الحيات

لست أريد أن أفصل هنا الخلاف الذي قام بين الفريق أمين المعلوم والدكتور محمد شرف ، الا أنني أميل الى الاعتقاد بأن الدكتور شرف قد استقى بما نشره الدكتور المعلوم شيئا كثيرا دون أن يشير الى ذلك في معجمه ، وكان خيرا أن ينسب الفضل لذويه

ز. ن. محمود

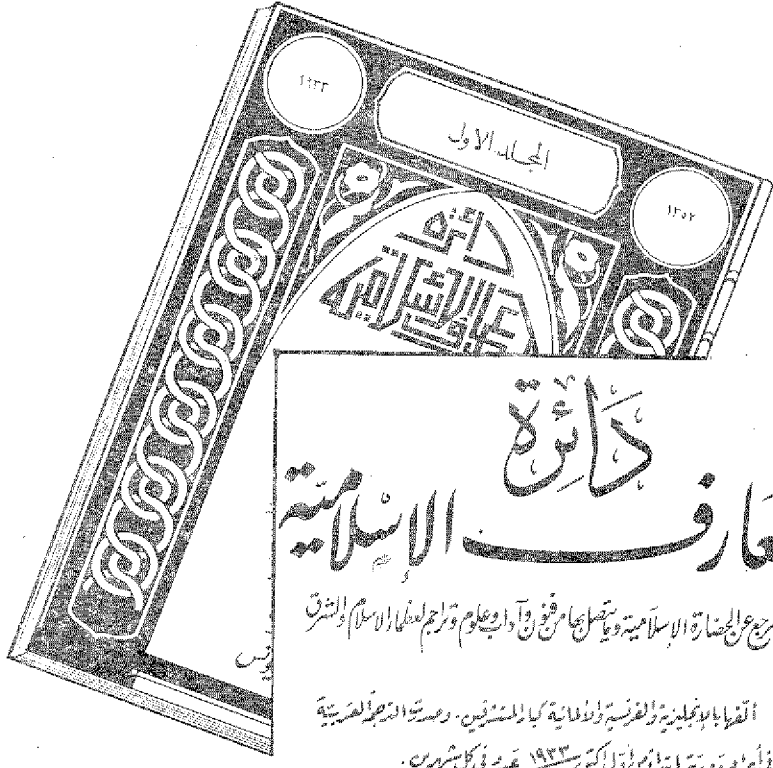
صورة الاسد الكبير وهو أبيض يلمع بهفرة وخطوط سود « وقال الجاحظ : « الفيل والبير والطاووس والبيغاء والدجاج السندی بما خص الله به الهند » وقال في محل آخر : « لأن هذه السباع القوية الشريفة ذوات الرياسة كالأسد والبيور والنمور لا تعرض للناس الا بعد أن تهزم فتعجز عن صيد الوحش » . وهو ما يقوله الأفرنج الآن عن هذه الحيوانات عند ما تضرى بأكل لحوم البشر . ثم قال في محل آخر : « والبير هندي مثل الفيل ايضا والسكر كدن فلا يقوم له سبع ولا بهيمة ، ولا يطمع فيه ولا يروم ذلك منه » . وقد وردت هذه اللفظة في كتاب كليله ودمنة ويفهم من سياق القصة انه من الحيوانات المفترسة ، فلو كان المقصود به أحد السباع المعروفة عند العرب كالنمر أو الاسد أو الفهد لما تعذر على ابن المقفع استعمال لفظة عربية حتى أتى بكلمة أعجمية . وقد ترجمت هذه اللفظة tiger

في النسخة الانجليزية من كتاب كليله ودمنة وورد ذكرها في مفردات ابن البيطار في آخر باب النمر حيث قال : « والبير سبع كبير » وترجمت Tigre الفرنسية . وهذه اللفظة مستعملة في بعض انحاء الهند في وقتنا الحاضر لهذا الحيوان بعينه ، وكذلك الفرس فانهم استعملوها بهذا المعنى ايضا كما ورد في شرح جامع التواريخ لكاثر مير فقد ذكر الشارح كلمة ببر وقال عنها :

Qui designe le veritable tigre royal الخ. الخ .

ولشد ما أدهشني هذا الخطأ الذائع الذي لم يجد قبل الفريق أمين المعلوم من يرده الى صوابه ، ولم يقتصر أمر هذا الخطأ على طلاب المدارس والمشتغلين بالترجمة جميعا ، بل تعداه الى أكبر دائرة فنية في مصر وهي حدائق الحيوانات ، فانا أعلم أن ادارة تلك الحدائق تضع الكلمة العربية « نمر » الى جانب اللفظة الانجليزية tiger تعرييا لها ، وقد أنبأني صديق منذ أيام أنها أدركت أخيرا هذا الخطأ فأصلحته منذ أمد قصير

وقد أتيت للدكتور المعلوم فرصة قل أن تتوفر لغيره ، وهي هذا التجوال في انحاء السودان وبلاد العرب ، فجمع من الطبيعة نفسها ، ومما سمعه من أفواه الشعوب التي مر بها



المجلد الأول

خاصة المعارف الإسلامية

أوفى مرجع في المعارف الإسلامية وتصلح لطلاب المدارس والجامعات والباحثين في كل شئ من شئ

الكتاب بالإنجليزية والفرنسية والألمانية كما للنسختين . ومدة النشر العربية في أعيد دورية ابتداء من أول أكتوبر سنة ١٩٣٣ عدد في كل شهرين .

تتميز الترجمة العربية بما يكمل عدم الفهم في بعض النواحي من بعض النواحي

بادروا الى الاشتراك في أكبر عمل على تقوم به مصر في العصر الحديث

الاشتراك عن ستة أعداد في داخل القطر ٥٠ قرشا صاغا
الاشتراك عن ستة أعداد في خارج القطر ٧٠ قرشا صاغا

ترسل الاشتراكات برسم أمين صندوق اللجنة إبراهيم زكي خورشيد

خاطبوا اللجنة الترجمة مباشرة

شارع قصر النيل رقم ٣٣ مصر

دائرة المعارف الإسلامية

نقد وتقدير

للاستاذ اسماعيل مظهر

ترجمها محمد ثابت الفندى وأحمد الشنتاوى وإبراهيم زكى خورشيد وعبد الحيد يونس ، تصدر في أجزاء دورية كل شهرين . صدر منها العدد الاول من المجلد الاول في ٦٤ صفحة من القطع الكبير على بصورة جلالة ملك مصر وصدر بمقدمة في ٦ صفحات من قلم ، لجنة الترجمة ، والورق ممتاز والطبع حسن .

بورك في الشباب ! بورك في الشباب عامة والطامحين منهم خاصة . فالشباب روح الامم وعمادها . والطامحون من الشباب هم بناء المجد وسدنة الحضارة وعمد القوة . والشباب اذا نام خيم على الامم النسيان وغشها السكون وهوم عليها النعاس . نعاس القرون بل نعاس الحقب والدهور . والشباب اذا تيقظ ودارت رحاه قذف بالكرات الواقعة على عجلة الدائرة الى فضاء العدم ، واستخلص من لباب الامم كرات جديدة تسير رحاه في حركتها وتضيف اليها قوى جديدة يستعان بها على بلوغ الغرض الاسمى والمثل الاعلى . أما الشباب القانع المستنم للدهر وللأقدار ، فلا خير فيه الا يقدر ما في البذرة الحية من الاحتفاظ بجنينها ، لتسلمه الى الطبيعة حياً عسى أن تكون منه جرثومة تخرج شباب الطموح والاستعلاء والتطلع الى اللانهاية .

شباب قنع لا خير فيهم . وبورك في الشباب الطامحين ونحن اليوم أمام عمل يقوم به الشباب المتوثب الى المجد ، المتعطش الى المعرفة ، الوثاب الى المثل والغايات . عمل أقل ما يوصف به أنه أثر جليل من آثار القوة والجرأة النادرة التي تنبئنا بأن عجلة الشباب قد أخذت تدور لتقذف بالكرات الواقعة ، وتجمع من حولها الكرات الدائرة . فان ترجمة موسوعة كاملة ، في أى موضوع كانت ، ومن أى مصدر استقيت ، لعمل عظيم . فكيف بموسوعة كدائرة معارف الاسلام وعت الواناً من التاريخ والفقه والتصوف والفلسفة واللاهوت والترجمة والجغرافية وعلم الهيئة الى غير ذلك مما وعت حياة العرب قبل الاسلام وبعده . فان العلاقة بين الاسلام والجاهلية لعلاقة شديدة الآصرة تعارض في نسيجها خيوط من روح الامم العربية والامم التي دانت بالاسلام . وكل هذا يزيد من صعاب العمل على المؤلفين ، ولا يجعله هينا على المترجمين . فالتنا لم نعن بعد بتبويب ما وصل الينا من فروع المعرفة التي تلقيناها عن العرب ، ولم تفكر

حتى في تصنيف اسماء الكتب التي تعتبر مراجع صحيحة تعود اليها في معرفة اسماء البلدان أو الاشخاص أو الاماكن ، أصيلة كانت أو معربة عن اللغات الاخرى كاللغات السامية ، ومنها السريانية والآرامية ، واللغة الاغريقية على الأخص . ولقد كان هذا سبباً في أن يتورط مترجمو هذه الموسوعة في أخطاء هم أبعد الناس عن أن يقعوا في مثلها عن قصد ، أو عن حاجة الى الصبر على البحث ، أو عن زهد في توخي الكمال المستطاع . ولو اننا أردنا أن نذهب في نقد العدد الاول وهو بأكورة هذا العمل الذي يرقبه اديب عراقي « كما يرقب الصائم هلال العيد » مذهب الاطئاب لا الايجاز لاحتجنا الى الوقت والى الفراغ . لهذا نعمد الى بعض المواد ونناقها بالمناقشة البريئة من كل غاية الا أن يتدارك شبابنا الطامح بعض الاخطاء التي نرجح اننا في نقدها على حق . ونصيحتنا التي لا نرمى من ورائها الى أى غرض بعيد عن توخي الاصلاح ، ان يعيد مترجمو هذه الموسوعة النظر فيما طبع منها وما لم يطبع ، وأن يستعينوا بذوى التجربة والنظر ، وأن يترفعوا في علمهم هذا عن فكرة الاعتزال به عمن يستطيعون أن يعاونوا فيه صونا لسمعة اعمالنا الأدبية أن ينتابها النقص أو تنقصها الانانية .

على أننى أريد أن الفت نظر اللجنة المحترمة الى عبارة وردت في المقدمة جاء فيها : « وما يغتبط له قارىء هذه الدائرة أن أعلام مصر سواء أكانوا من علماء الأزهر الشريف أو من أساتذة دار العلوم أو الجامعة المصرية قد ساهموا بنصيب وافر في مراجعة الترجمة والتعليق على بعض الفقرات ، وفي إبداء الملاحظات القيمة والآراء السديدة » هذه هي العبارة واني لأعجب كيف أن أعلام مصر من علماء الأزهر الشريف وأساتذة دار العلوم والجامعة المصرية قد فاتهم هنات هينة وأخطاء نحوية مثل قولهم « طبع مرتان » (راجع مادة أبشقة ص ٦٣) وغير ذلك مما نمسك عنه ونكتفى بتوجيه نظر اللجنة اليه .

يبد أننا إن اكتفينا هنا بالإشارة البسيطة فالتنا نود ان نعبّر عن اسفنا الشديد لأيراد مثل العبارة التي نقلناها عن المقدمة فان فيها لتفريطاً ، وان فيها لمغالاة ، وان فيها لاشراكاً لأعلام مصر أجمعين في أخطاء مثل التي سوف نسوق الكلام فيها .

والآن نبدأ بمادة « أبخاز » وقد وقع عليها النظر إتفاقاً ، فآثرنا ألا ننقل الى غيرها ومضينا في مراجعتها فبانت لنا الملاحظات الآتية : (١) جاء في ص ٢٠ نهر ٢ — « وكان الابخازيون يعرفون قديماً باسم أبسكوى (عند المؤرخ آريان) وباسم أبسجى (عند بلنياس Pliny) وينذكر بروكوبيوس (في القرن الخامس الميلادي)

أن الأبخازيين كانوا تحت حكم اللازوى . وجاء في ص ٢١ ، نهر ١
وكان سيدرنيوس البيزنطى « النخ . والصحيح في تعريب الأسماء
أن نجرى فيها على القواعد التى جرى عليها العرب ، فلا نقول بلباس
بل بلباسوس ، ولا نقول بروكوبوس بل فروقوفوس ، ولا نقول
سيذرنيوس بل قدرنيوس ، أما قواعد التعريب فحديث طويل ليس
هنا شأنه .

(٢) «ولكن الأسباب الجغرافية وحدها تجعل إحتلال هذا
الأقليم احتلالاً فعلياً بعيد الاحتمال .» (ص ٢٠ نهر ٢) والأصل
الإنجليزى كما يلى

Geographical reasons alone sufficed to put any
idea of really subjugating the country out of question.
والحاصل من الترجمة والأصل أن المترجم وضع كلمة
« الأسباب الجغرافية » مقابل - geographical reasons -
والأصح أن يقال « العوامل أو المؤثرات أو الموانع الجغرافية »
لأن كلمة الأسباب تتضمن معنى « التاموس » الثابت فى حين أن
كثيراً من المؤثرات الجغرافية ينتابها التغير إن سريعاً وإن بطيئاً
على تالى الأجيال وخضوعاً لسنن يعرفها الفلكيون والجيولوجيون
على الأخص . ووضع المترجم كلمة « تجعل » لتقابل - sufficed -
والكلمة الإنجليزية معناها « كفت » ، ثم أنه ساق الجملة
العربية فى صيغة المضارع وهى فى الأصل بصيغة الماضى
لأنها تسكلم عن ماض محدود بالزمان . ووضع كلمة احتلال
لتقابل كلمة - subjugation - فى حين أن احتلال معناها فى
الإنجليزية - occupation - ولكن subjugation معناها الخضاع .
والظاهر أن المترجم لم يهتف مرة واحدة بسقوط الاحتلال
لا بالإنجليزية ولا بالفرنسية ، ووضع العبارة الإنجليزية
out of question - لتقابل بعيد الاحتمال ، والحقيقة أنها وضعت لتدل
على أن : « العوامل الجغرافية وحدها كفت لأن تصرف العرب عن
التفكير فى إخضاع الأقليم أخضاعاً تاماً . والواقع أن احتلال
إقليم قد يجوز أن يكون تاماً ولكن الأقليم لا يكون خاضعاً بالفعل .
فإن إيطاليا احتلت طرابلس احتلالاً عسكرياً تاماً بأن بددت كل
قواه العسكرية ، ولكن إخضاع أهل الأقليم لم يتم إلا بعد زمان
طويل . والفرق بين الاحتلال والإخضاع لا ينبغى أن يغيب عن
ذهن مترجم يكتب فى أبحاث تاريخية سياسية . لأن ملاحظة مثل
هذه الفروق الدقيقة ضرورى لينطبق تصور القارىء دائماً على
الحالات التى يريد المؤرخ أن ينقلها الى مخيلته .

(٣) «وقد أخضع جستنيان الامبراطور الرومانى الأبخازيين

فاعتنقوا المسيحية » . (ص ٢٠ نهر ٢) والخطأ هنا فى تعريب
اسم الامبراطور الرومانى «يوستنيانوس» Justinian لأن حرف
— ز — ينطق « ياء » فائتته المترجم « جيم » على الضد من كل
الاصول المرعية .

(٤) «ومنذ ذلك العهد أصبحت لغة جورجيا لغة الادب» .
(ص ٢١ نهر ١) وماهى لغة جورجيا ، المؤلف يقصد هنا لغة
أهل الكرج - Georgia - التى عربها المترجم باسم جورجيا
حرفياً . فى حين أن العرب ومن أتى من بعدهم قالوا الكرج . ومن
الاسف أن المترجم جرى على هذا الخطأ فى كل الجزء المطبوع .
فقال ملك جورجيا وهو ملك الكرج تحقيقاً .

(٥) « وعند البحث عن أصل موطن البجراتونيين يجب أن
نتجه نحو الغرب (نحو جرخ وريون) » . وفى الأصل الإنجليزي
- On the Corokh & Rion - والمفهوم من العبارة الإنجليزية أن
المؤلف يقصد شواطئ نهرين ولولم يتحقق من ذلك بل أدركه بالسليقة فقال
« نحو الغرب على الكرخ والريون . فجاءت الترجمة غامضة بعيدة
عن الأصل . وكذلك يجب ان نلاحظ أن المترجم قد أكثر من
ذكر الأبخاز بصيغة جمع الجمع فقال الأبخازيين والبجراتونيين
وغيرهم . فى حين أن الاضمار جمع كالأعراب . ولا يصح أن نقول
أعرابيين أصلاً . أما فى البجراتونيين فقد اصطلح مثلاً على أن
ندعو القبيلة التى انحدر منها أهل أتيننا القديمة « فلاسجة » واسمها
الأصلى فى الإنجليزية - Pelasgians - وهى صيغة عربية مقبولة
تجرى على قواعد التعريب المشبعة . فكان الواجب على المترجم
أذن ان يقول البجارطة بدل البجراتونيين . هذا اذا لم يكن العرب
قد اصطلحوا على تعريب الاسم هذه القبيلة ، ولا تصور أن يكون
بعيداً كثيراً عما اذهب اليه .

(٦) وورد فى خطاب الامبراطور طرابزون انه كانه لأمراء
الأبخاز جيش يبلغ عدده ٣٠٠٠ / ٣٠٠ مقاتل (ص ٢١ نهر ٢) وفى
الأصل الإنجليزي :

according to a letter from the Empror of Trebizond
in the year 1459 etc.,
والفرق بين الأصل والترجمة شاسع . فالترجمة تقول « فى
خطاب الامبراطور » ... والأصل فى خطاب من امبراطور ...
وهنا لك فرق لا يخفى بين خطاب لامبراطور وخطاب من
امبراطور ، فضلاً عن أنه اسقط السنة المسكينة (١٤٥٩) من
الترجمة كلية .

يمثلون نواحي الحكم الاخرى كانوا يذكرون منذ القرن الثالث عشر الميلادي . واذن يكون تعيين جاثليق يرعى مصالح النصارى لم يأت الا بعد أن امتد نفوذ الاسلام ، واحتاج الامر الى راع يرعى مصالح الاقلية المسيحية في بلاد اسلامية .

(٩) « وفي عام ١٤٦٣ م (في عهد الملك بجرات الثاني) ثبت أمراء أسرة شروشيد في مراكرهم » والاصل الانجليزي كما يلي :

in 1462 (under king Bagrat II) the confirmation of the Sherwashidze as princes (Eristaw) of the country took place

وانت تتساءل ماهي مراكرهم هذه ؟ هي أنهم اعترف بهم أمراء . هكذا يريد الاصل أن يقول . ولكن المترجم يريد أن يقول أنهم ثبتوا في مراكرهم لا غير . وعلى القارئ أن يضرب الرمل ويناجي الودع ليعرف في أي المراكر ثبتوا . ولو تصور أنهم ثبتوا في الارض بالاسم المصالح لكان له عذر . يتبع

« حول قصيدة — بقية المنشور على صفحة ٦ »

ما بذلت من الجهد لما ظهرفيه من الحرص على أن تحتفظ ما استطعت ببعض الاصل ، وإذا كنت قد استطعت أن تترجم هذه القصيدة فليست هي إذن من الغموض بحيث يقال . فان قصيدة مظلمة حقاً تحتاج الى تغيير أعقق من هذا التغيير الذي أحدثته لتصبح ترجمتها أمراً يسوراً . فأنا مدين لك بهذا الدليل الواضح على أن المقبرة البحرية شيء يمكن فهمه إذا عني القارئ بعض العناية بقراءتها ورغب بعض الرغبة في فهمها .

وأظن أن السخرية في هذا الكتاب أوضح من أن تحتاج الى أن أدل عليها ، ولعلك تسألني أن أترجم لك هذه القصيدة كلها أو بعضها ، ولكنني معتذر من ذلك لأمرين . الأول : أني أجد في قراءة القصيدة لذة راقية قوية حقاً ، ولكنني لا أستطيع أن أقول أني أفهمها على وجهها ، وليس على من ذلك بأس مادام النقاد والأدباء الفرنسيون وهم أعلم مني طبعاً بلغتهم وأدبهم يختلفون في فهمها الى هذا الحد . والثاني : أن بول فاليري نفسه يرى أن ترجمة الشعر الى النثر قتل لهذا الشعر ، وتمثيل به ومحو آيات الجمال فيه ، وأعوذ بالله أن أقترف هذه الجناية أو اتورط في هذا الأثم ، ولكن في مصر شعراء أو أنا أرجو أن يكون في مصر شعراء يحسنون الفرنسية فهل لهم أن يستبقوا في ترجمة هذه القصيدة شعراً عربياً ، وهل لأصدقائنا أصحاب الرسالة أن يجعلوا للفائز في هذه المسابقة من الشعراء جزاء يلائم ما سيذله من الجهد الذي سيكون عنيفاً حقاً ، ولكنه سيضع أمام قراء اللغة العربية نموذجاً من أرقى وأروع نماذج الشعر الحديث ؟

(٧) لم يستطع الانجاريون ان يتخلصوا من سلطان الترك ونفوذ الاسلام في حين كانت المسيحية تنافس في ببطء شديد . (ص ٢١ - نهر ٢) والاصل الانجليزي ذكر كلمة Supplanted فترجمت خطأ تنافس والحقيقة تستأصل . لان النقص يعبر عنه في الانجليزية بكلمة decrease ويقابله الزيادة — increase — هذا فضلاً عن ركازة التعبير الذي نحسه في استعمال تنافس ببطء شديد . (٨) ومنذ انفصال جورجيا صار يحكم بلاد الانجاز كاثوليكيوها (الذين ذكروا في القرن الثالث عشر للميلاد) في بترند (ص ٢١ - نهر ٣) والاصل الانجليزي كما يلي :

since the separation from Georgia the Country had been under its own Catholicos (for the rest mentioned as early as the 13th Century) in Pitzand.

والخطأ هنا فاحش . فان المؤلف لو كان قد أراد أن يقول أن البلاد كان يحكمها كاثوليكيوها اقلال — its own Catholics — وكانت من الواجب أن يدرك المترجم أن كلمة — Catholicos — تدل على وظيفة كنيسة كما يفهم بديان من سياق الجملة ومن سياق الحديث معها . أما كلمة — Catholicos — فقد عريت وأثبتت في المعاجم العربية ونقلت عنها الى المعاجم الانجليزية العربية الكبرى . فجاء في قاموس « بدجر » — Badger — الفقيه الانجليزي المعروف أمام هذه الكلمة « الجاثلة جمعاً مفرداً جاثليق » . وجاء في القاموس المحيط للفيروز آبادي — « هو الجاثليق بفتح الاء المثلثة رئيس للنصارى يكون في بلاد الاسلام ويكون تحت يد بطريق انطاكية ثم المطران تحت يده ثم الاسقف يكون في كل بلد من تحت المطران ثم القسيس ثم الشماس » . (ص ٢١٧ مجلد ٣) .

وهذا يدل على أن المترجم قد أخطأ . وأنه أخطأ خطأ فاحشاً من الوجهتين التاريخية والعلمية فالتاريخ لم يثبت أن الكنائس كان لهم حكم مدني في بلد من بلاد الاسلام . والناحية العلمية ، كما يدل سياق الكلام في الاصل ، تشير الى أن الجاثلة كان يناط بهم أن يرعوا أحوال النصارى الشخصية على قواعد الدين النصراني تحت حكم الاسلام المدني . وعلى هذا يجب أن تكون الترجمة على خلاف ما جاء في « دائرة المعارف الاسلامية » ، ويجب أن تكون كما يأتي « ومنذ الانفصال عن السرج (لا منذ انفصال جورجيا لأن الاصل separation from Georgia) كان للبلاد جاثليقها المقيم في بترند . أما الجملة المعارضة التي جاء فيها as the 13th Century as the 13th Century والتي ترجمتها المترجم بقوله : (الذين ذكروا في القرن الثالث عشر الميلادي) ويقصد بهم الكاثوليك خطأ بعد أن خلقهم من وهمهم والوهم خلاق ، فيراد بها أن بقية الحكام الذين

لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩١٤

بشارع الساحة رقم ٣٩ بالقاهرة تليفون ٤٢٩٩٢

ماوِست

لشاعر ألمانيا الكبير جوتيه Goethe ترجمها عن الاصل الألماني الدكتور محمد عوض وهي قصة بديدة سامية الخيال تمتاز بطرافة موضوعها وتحليلها النفساني الدقيق ولها مقدمة بقلم الاستاذ الدكتور طه حسين وثمنه ١٢ قرش عدا أجرة البريد

الامتيازات الاجنبية

للاستاذ محمد عبد الباري ليسانسيه في الحقوق وهو بحث تاريخي علمي في أصل الامتيازات الاجنبية وعلاقتها بمصر ومناقشتها من الوجهة القانونية والاجتماعية والاقتصادية في أسلوب سهل يفهمه جمهور القراء وثمنه ١٥ قرشا عدا أجرة البريد

مرجريت أو غادة الكاميليا

(الطبعة الثانية) : — الرواية العالمية تأليف الكاتب الفرنسي الكبير اسكندر دumas . وتعرّب الدكتور أحمد زكي وكيل كلية العلوم ، ولها مقدمة بقلم الدكتور منصور فهمي . قالت مجلة العصور فيها : « .. أسلوب من السهل الممتنع قد ملئ جمالا ، وزاده انتقاء الالفاظ روعة . فإذا أضف الى هذا الامانة في النقل لم يكن لديك بعد هذا ما تقول في نقد هذه الترجمة الفذة التي جاءت كما قال حافظ ابراهيم : « كالحسناء وخيالها في المرأة » وثمنها ١٥ قرشا عدا أجرة البريد

كتاب أصول الرسم

تأليف الأستاذين أحمد شفيق زاهر المفتش بوزارة المعارف العمومية وأحمد فتوح الرفاعي بالمعلمين العليا سابقاً قررت وزارة المعارف العمومية هذا الكتاب لمكتبات المدارس الابتدائية والثانوية للبنين والبنات ومدارس المعلمين الأولية والمدارس التحضيرية للمعلمين ومدارس المعلمات الأولية الراقية والمدارس الأولية الراقية للبنات وتوزيعه على طالبات السنة الأولى من قسم الأطفال والرسم بمدرسة المعلمات الأولية الراقية . ويطلب الكتاب من مركز اللجنة ومن المكاتب الشهيرة وثمنه ١٢ قرشا عدا أجرة البريد

البصريات

الهندسية والطبيعية

تأليف الاستاذ مصطفى نظيف الأستاذ بمدرسة الهندسة الملكية . وهو أول كتاب من نوعه في العربية يبحث في علم الضوء من الوجهتين النظرية والعلبية الى مستوى الدراسات المعتادة في الجامعات . وثمنه ٧٥ قرشا

الشاهنامه

تأليف

الفردوسي الشاعر الفارسي الشهير

وهي القصة الفارسية الكبرى تأليف الفردوسي الشاعر الفارسي الشهير . وقد عريبها (النداري) أحد أدباء الأقدمين ، وقام بمراجعتها وضبطها وتقديم مقدمة وافية لها الاستاذ عبد الوهاب عزام المدرس بالجامعة المصرية وثمنها ٧٥ قرشا عدا أجرة البريد

طبع بمطبعة فاروق ٢٨ شارع المدايح

تطلب هذه الكتب من اللجنة ومن المكاتب الشهيرة